# الدور السياسي والحضاري لأسرة
# الصاحب بهاء الدين بن حنا
# في الفترة من (٦٥٩-٨١٣هـ/ ١٢٧٨-١٤١٠م)


إعـــداد

د. رحاب السيد أحمد محمد جناحه

مدرس التاريخ الإسلامي - جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإنسانية - فرع القاهرة

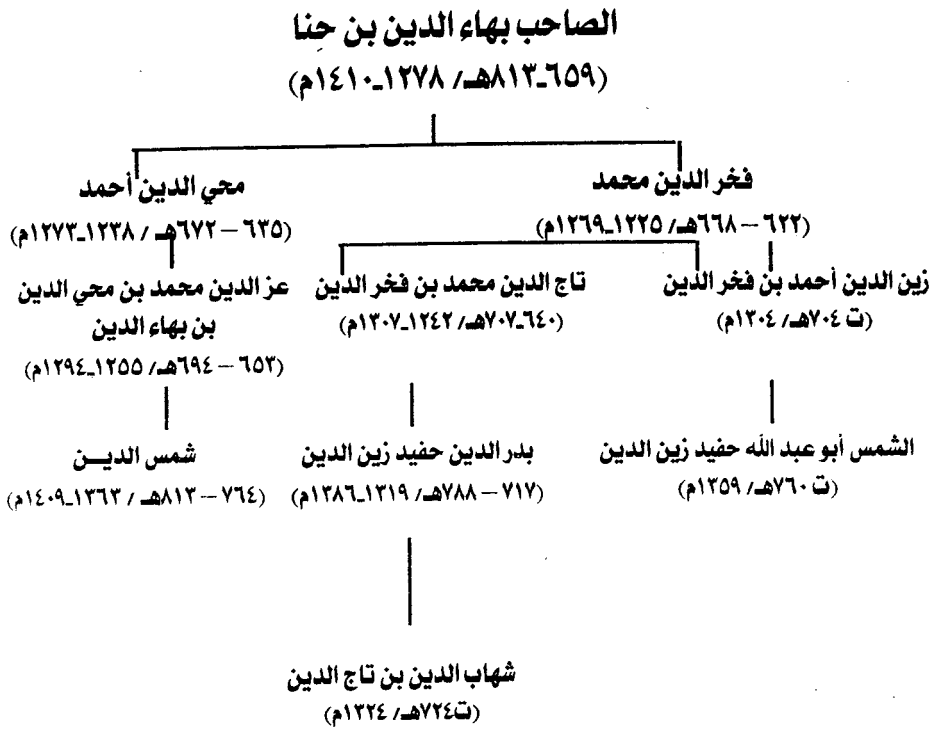
الصاحب بهاء الدين بن حنا
(٦٥٩-٨١٣هـ/ ١٢٧٨-١٤١٠م)
فخر الدين محمد
(٦٢٢ - ٦٦٨هـ/ ١٢٢٥-١٢٦٩م)
محي الدين أحمد
(٦٣٥ - ٦٧٢هـ / ١٢٣٨-١٢٧٣م)
زين الدين أحمد بن فخر الدين
(ت ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)
تاج الدين محمد بن فخر الدين
(٦٤٠-٧٠٧هـ/ ١٢٤٢-١٣٠٧م)
عز الدين محمد بن محي الدين بن بهاء الدين
(٦٥٣ - ٦٩٤هـ/ ١٢٥٥-١٢٩٤م)
الشمس أبو عبد الله حفيد زين الدين
(ت ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)
بدر الدين حفيد زين الدين
(٧١٧ - ٧٨٨هـ/ ١٣١٩-١٣٨٦م)
شمس الدين
(٧٦٤ - ٨١٣هـ / ١٣٦٣-١٤٠٩م)
شهاب الدين بن تاج الدين
(ت٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م)

تميز العصر المملوكي بظهور أسر عديدة لعبت دوراً مميزاً في تاريخ دولة المماليك في مصر والشام، وبرز منها رجالات قدموا خدمات جليلة للدولة في شتى المجالات، سواء أكان ذلك في وظائف الجيش، أو الإدارة، أو القضاء أو الكتابة، أو في النواحي العلمية والأدبية... والبحث عن هذه الأسر ونجبائها وذكر مآثرهم أمر يستحق العناية[١].

وهذا البحث يدور حول إحدى الأسر المصرية التي أشرقت في أفق ذلك العصر، ونبغ أبناؤها في كافة المجالات السابقة، وأثبتوا جدارتهم فيما أُسند إليهم من مناصب، وما تبوءوه من مكانة خاصة، جعلتهم المسيرين للأحداث والقابضين على زمام الأمور بلا منازع، إبان فترة حكم الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) وبداية عهد ابنه الملك السعيد بركة (٦٧٦-٦٧٨/ ١٢٧٧-١٢٧٩م) تلك هي أسرة الصاحب بهاء الدين ابن حِنّا[٢]. والتي امتد تأثير أبنائها السياسي والعلمي والأدبي فترة لا بأس بها من تاريخ مصر في العصر المملوكي، وصل إلى القرن التاسع الهجري.

نشأته:

هو بهاء الدين أبو الحسن علي ابن القاضي السديد محمد بن سَليم -- بفتح السين المهملة وكسر اللام ابن حِنّا المصري الكاتب[٣]. وزير الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) [٤] ووزير ابنه الملك السعيد (٦٧٦-٦٧٨هـ/ ١٢٧٧-١٢٧٩م) [٥].

وُلد بهاء الدين علي في سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م[٦]. وكان حِنّا - الجد - نصرانياً ثم أسلم، أما والده القاضي السديد محمد بن سليم فقد ترقى في الخدم الديوانية حتى باشر ديوان الجيوش[٧] بالديار المصرية، وذلك في عهد الملك الكامل الأيوبي[٨] (٦١٥ - ٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م). وهو ما أكده النويري وذكر أنه "صرف بعد ذلك بمدة يسيرة"[٩] وعنه قال المقريزي: "...

وشهد عن القاضي عماد الدين أبي القاسم عبد الرحمن السكري، وسمع الحديث...، وكان محباً في الصالحين وأهل الخير، وتوفى في تاسع عشرين شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة بمصر"(١٠).

كما ورد في العديد من المصادر أن القاضي برهان الدين أخو الصاحب بهاء الدين بن حِنّا كانت له أيضاً مكانة جليلة وشرف وكلمة مسموعة، بدليل أن الوزير "الفائزي"(١١) لما اعتقل طلب وساطته لإطلاق سراحه ونقل عن برهان الدين قوله: "دخلت على شرف الدين الفائزي وهو معتقل فسألني أن أتحدث في إطلاقه، بحكم أن يحمل في كل يوم ألف دينار، فقلت له: وكيف تقدر على ذلك، فقال: أقدر عليه إلى تمام السنة، وإلى أن تمضي السنة يفرج الله تعالى..." (١٢).

مما يدل على ما تمتع به أفراد هذه الأسرة من مكانة، وتأثير على أصحاب السلطان والرأي في البلاد آنذاك. ويتضح أيضاً أن الصاحب بهاء الدين ابن حنا لم يكن نصرانياً واعتنق الإسلام من أجل الترقي في المناصب، والوصول إلى منصب الوزارة كما ذكر بعض المؤرخين(١٣)، بل إنه ولد على الإسلام ابتداءً.

تدرجه في المناصب:

كان الصاحب بهاء الدين بن حِنّا أحد رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاءً وخبرة وتصرفاً(١٤). و "رئيساً رفع لواؤه واستنار بهاؤه"(١٥). أما عن الوظائف التي شغلها قبل أن يلي الوزارة فإن المصادر لم تذكر ذلك صراحة، وكل ما ورد عن ذلك عبارة عن معلومات متناثرة، تشير في أغلبها إلى أن الصاحب بهاء الدين بن حِنّا عمل "في ابتداء أمره في دكان يبيع الخام ثم تنقلت به الأحوال في كتابة الديوان السلطاني"(١٦).

وذكر ابن دقماق في سياق حديثه عن الزوايا بالجامع العتيق بالفسطاط أن بهاء الدين علي كان قد تولى التدريس بالزاوية "الخشابية"[١٧]. في فترة من الفترات، ثم ما لبث أن "ظهرت كفايته وعرفت في الدولة نهضته ودرايته"[١٨]. فولي المناصب الجليلة. وكان أول رتبة جليلة تولاها هي الوزارة لشجر الدر[١٩]. وكان ذلك سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧[٢٠]. عن ذلك يقول ابن تغري بردي: "وكان الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المعروف بابن حِنّا وزيرها - يعني شجر الدر - ووزارته لها أول درجة ترقاها من المناصب الجليلة"[٢١].

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد مقتل شجر الدر، قُبض على بهاء الدين وأخذ خطه بستين ألف دينار، وذلك لمجرد كونه وزيرها[٢٢].

بهاء الدين وزيراً للسلطان الظاهر بيبرس:

لما تسلطن الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ - ١٢٦٠-١٢٧٧م) استشار شيخ الإسلام "عز الدين بن عبد السلام"[٢٣] فيما يفعله ويكون فيه صلاح دولته، فقال له شيخ الإسلام "إن الدولة لا تقوم إلا بأمرين، أحدهما الشرع الشريف، والثاني تحصيل الأموال من وجوهها. ولا أدري للقضاء مثل عبد الوهاب، يريد ابن بنت الأعز[٢٤]، وللوزارة مثل بهاء الدين علي. فرجع السلطان إلى رأيه وتمسك بقوله، وفوض المنصب لهما، فقام كل واحد منهما في منصبه أحسن قيام، وحمدت عاقبة هذه الولاية، وشكر سديد هذا الرأي"[٢٥].

ولا شك أن الشيخ العز بن عبد السلام قد اختار بهاء الدين لتولي منصب الوزارة بعد أن ظهرت كفاءته وعزيمته فيما قام به من أعمال، ولو لم يكن كذلك لم يقتنع به السلطان، وعليه فقد قام السلطان بعزل الصاحب زين الدين بن الزبير[٢٦] من الوزارة في ربيع الأول سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م[٢٧]، واستدعى بهاء الدين وولاها له، وقلده "أمر ممالكه ورعيته تقليداً مطلقاً، وأذن

له في التصرف بما يراه رأيه"[٢٨]، وركب في خدمته الأعيان والأكابر، فقام بأعباء المملكة خير قيام، ولم يكن على يده يد[٢٩].

وبذلك فقد أطلق السلطان يده في تدبير شئون الدولة وأمر الرعية، حتى تمكن من السلطان تمكناً عظيماً، وقد ذكر النويري نقلاً عن بعض الثقات: "أن الصاحب بهاء الدين رأى في منامه قبل وزارته أنه ذبح السلطان الملك الظاهر، فقص ذلك على من يثق به ممن له معرفة بالتعبير، فقال له: تتمكن منه تمكن الدابح من المذبوح، فكان منه في أقرب منزلة وأعز مكانة"[٣٠].

وقد قام الصاحب بهاء الدين بأعباء الدولة ببراعة شديدة، وأخلص في عمله، ويتضح ذلك بصورة جلية من خلال التعرف على كيفية أدائه لعمله، وقضائه ليومه، فقد كان الصاحب بهاء الدين يقضي يومه في المباشرة والعمل المستمر، دون انقطاع أو انشغال بأي أمر من الأمور مهما كان، حتى ولو كان لتناول الطعام. إذ يذكر أنه "كان ينتبه قبل الأذان للصبح، ويشرب قدحاً في ثماني أوراق شراب بالمصري، ويأكل طير دجاج مصلوق. فإذا صلى الصبح ركب إلى القلعة، وأقام نهاره لا يأكل شيئاً في المباشرة، ويظن أنه صائم وهو في الحقيقة صائم لا يحتاج إلى غذاء مع ذلك الشراب والدجاج"[٣١] وما هذا كله إلا لجده وحرصه على العمل ومراعاة مصلحة الدولة والرعية مهما كلفه الأمر من الجهد والعمل.

سلطاته ونفوذه:

رأينا كيف مُنح الصاحب بهاء الدين سلطات واسعة وحظي بمكانة مميزة في الدولة حتى أن السلطان الظاهر بيبرس كان إذا غادر مصر إلى أي جهة يترك ولي عهده في وصاية ورعاية الصاحب بهاء الدين، وقد تكرر ذلك مرات عديدة[٣٢]. وما كان ذلك إلا لثقة السلطان في الصاحب بهاء الدين وأمانته وقدرته على القيام بالأمر خير قيام. ليس هذا فحسب، بل كان السلطان

– أحياناً – إذا ما تم فتح أو ما شابه ذلك، كان السلطان يُرسل بعض الأوامر والمناشير الخاصة بما تم فتحه إلى الوزير ليوقع عليها[٣٣].

وبعد أن ينتهي السلطان من سفره ويؤدي ما خرج من أجله، ويقرر الرجوع إلى الأراضي المصرية، كان يرسل إلى القاهرة من يخبر الوزير وولي العهد بالأمر، فما أن يصل الخبر إليهما إلا ويستعدا للخروج لاستقبال السلطان[٣٤].

كما كان أحياناً يصحب السلطان الوزير في أسفاره وفتوحاته، وأحياناً رحلات نزهته وصيده. وقد أفاض الكتاب في الحديث عن ذلك، وعن دور الوزير الصاحب بهاء الدين في كثير منها، ومن ذلك ما حدث سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، عندما خرج الوزير الصاحب بهاء الدين في صحبة السلطان أثناء سفره إلى دمشق، لشن الغارات على بعض جهات بلاد الشام[٣٥]. ومنه أيضاً ما حدث سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م. عندما توجه السلطان إلى البحيرة للصيد، إذ خرج في صحبته الوزير، وقد استمرت هذه الرحلة من يوم الاثنين حادي عشر جمادي الأولى، إلى يوم الخميس خامس جمادي الآخرة، وعندما قرر السلطان الرجوع إلى القاهرة سبقه الوزير إليها ليكون في شرف استقباله[٣٦].

بل ربما خرج الوزير بمفرده في صحبة العسكر المتجه إلى بلاد الشام، وقد حدث ذلك سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، عندما خرج السلطان إلى بلاد الشام، فوصلته الأخبار أن التتار بالعراق تستعد لمحاربته، فكتب هو إلى القاهرة لطلب العسكر، فخرج منهم أربعة آلاف فارس على رأس كل منهم مقدم، وفي صحبتهم الصاحب بهاء الدين[٣٧].

كما كان الوزير أحياناً يحضر صلاة الجمعة نيابة عن السلطان، وحدث ذلك عندما أقيمت أول جمعة في الجامع الأزهر منذ عهد صلاح الدين الأيوبي، حيث أفتى بعض الفقهاء بجواز إقامة جمعتين، فأقيمت واحدة في

القلعة بحضور السلطان، والأخرى بالأزهر بحضور الوزير، وبعض الفقهاء والعلماء[٣٨].

وإذا كان للوظائف الدينية قدرها وجلالها آنذاك، فإن سلطات الصاحب بهاء الدين قد اتسعت حتى أصبح يتدخل في تولية أصحاب المناصب الدينية أو عزلهم. وقد حدث ذلك سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م عندما تدخل في اختيار قاضي القضاة، حينما توفى قاضي القضاة ابن بنت الأعز، إذ تم تعيين القاضي بعده بمشورة بهاء الدين بن حِنا[٣٩].

ولم يقتصر نفوذ الصاحب بهاء الدين على الديار المصرية، بل ربما وصل إلى حد التدخل في تولية وعزل رجال الدين في بلاد الشام. ومن ذلك تفويضه لعماد الدين بن العجمي[٤٠] سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) بنظر الجامع والأوقاف بحلب، ووكالة بيت المال بها. وذلك عندما خرج الأخير صحبة المولى الصاحب إلى بلاد الشام[٤١].

ومن هذا القبيل أيضاً ما حدث سنة (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) عندما دخل السلطان الظاهر إلى دمشق وقام بعزل القاضي "ابن خلكان"[٤٢]. وكان له في القضاء عشر سنين، وولى بدلاً منه القاضي "عز الدين بن الصائغ"[٤٣]، وخلع عليه، وكان ذلك بسفارة الوزير بهاء الدين[٤٤]. وكذلك ما حدث أيضاً في سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م عندما عزل الصاحب بهاء الدين محتسب دمشق تاج الدين أبو الفضل[٤٥]. ومنه يتضح أن الصاحب بهاء الدين كان يتوجه بين الحين والآخر إلى بلاد الشام لمباشرة الأمور، والإشراف على الأعمال هناك.

بالإضافة إلى هذا كان أحياناً يستخدم عمالاً على ما يستخرج من الجهات، وحدث ذلك سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) في بلاد النوبة، إذ فوض له السلطان أمر تولية عمال على ما يستخرج منها[٤٦].

كما كان الوزير أحياناً يتوجه إلى جهة ما، ويقوم بجمع ما هو مستحق عليها من المال والقماش وغير ذلك مما هو مستحق للخزانة العالية، وقد حدث سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م)، وكذلك سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) إذ يذكر أنه توجه إلى الإسكندرية، وحصل منها ما هو مقرر على أهلها، حيث جمع خمس وتسعين لفة قماش، ومن الأموال ما لا يحصى كثرة، ويذكر أنه فعل ذلك كله مع الإحسان إلى أهلها وعدم ضرب أحد[٤٧]. وعليه فقد كان مطلق اليد في جمع الأموال، وما يتصل بها، ويؤكد ذلك ما ذكره المقريزي عن جمع الصاحب للجوالي مضاعفة، وكذلك ما فعله من قياس أراضي الأملاك بمصر والقاهرة، وأخذ المال عليها، ومصادرة أرباب الأموال[٤٨].

كما نُسب إليه مصادرة عدد من الشخصيات، ومطالبتهم بالمال، أمثال "ضياء الدين بن الفقاعي"[٤٩]، والذي يذكر أنه رافع الصاحب بهاء الدين عند السلطان الظاهر بيبرس فاستظهر عليه، فسلمه السلطان إليه "فلم يزل يضربه بالمقارع ويستخلص أمواله..." [٥٠].

هذا بالإضافة إلى دوره في الاحتفالات والمناسبات المختلفة، ومن ذلك ما حدث من الاحتفال بقدوم شخص – يُنسب إلى البيت العباسي – إلى مصر ومعه نفر من عرب العراق، حيث خرج الوزير في صحبة السلطان لاستقباله. فلما شهد بصحة نسبه تم تقليده منصب الخليفة، وجعلت القاهرة مقراً للخلافة[٥١]. وتقدم الناس لمبايعة ذلك الخليفة، وعلى رأسهم السلطان ثم الصاحب. وبعد أن بُويع بالخلافة خلع على السلطان، وجعله نائباً عنه في البلاد الإسلامية وما فتح الله على يديه. وحضر هذا التقليد الأمراء، ورجال الدولة، وعلى رأسهم الصاحب بهاء الدين، والذي ظهر حاملاً التقليد على رأسه وشق به القاهرة[٥٢].

ومن هذا القبيل أيضاً حضوره الاحتفال بولاية العهد للسعيد بركة[٥٣]، وكذلك حضوره افتتاح مدرسة السلطان[٥٤]. وأحياناً يكون الصاحب بهاء الدين هو المنظم للاحتفال والمشرف على كل صغيرة وكبير فيه، ومن ذلك ما حدث عند الاحتفال بعُرس ولي العهد السعيد بركة، حيث قام الصاحب على تجهيزه والإعداد له، حتى خرج على أحسن ما يكون، واستحق ثناء ابن شداد، حيث قال: "... وكل ما صرفه السلطان من هذا المهم... وما أنعم من الخلع... وما صنع من الطعام الذي لآكله الشبع والشرف، وما سال به وادي الجود... من اهتمام وزيره الذي عين حزمه عزمه فيما يؤثل مجده ساهرة، ويد حزمه ممتدة لنيل ما لم تزل يد غيره عنه قاصره، همته التي تستصغر في جنبها همم الملوك الصيد، ..."[٥٥].

ويظهر ذلك أيضاً في عزاء السلطان الظاهر بيبرس (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، والذي قام الوزير على كل ما أعد فيه أو اتصل به، حيث يذكر أنه أقام الأطعمة التي عم نفعها الغني والفقير، وأجرى الأرزاق والعطايا على القراء والوعاظ والمنشدين والشعراء بحسب مراتبهم[٥٦]، هذا فضلاً عن الاهتمام بمكان دفن السلطان بالشام، وشراء الأرض للدفن، ولبناء مدرسة بجواره، وترتيب من يعمل بها ويقوم عليها[٥٧].

وخلاصة القول أن الصاحب بهاء الدين بن حِنا تمكن في دولة السلطان الظاهر بيبرس تمكناً كبيراً، حتى "كانت أمور المملكة من أموال وولايات وعزل إليه، ولا يعارض في ذلك، ولا يشاور، بل هو المستقل بأعباء ذلك والمرجع إليه فيه..."[٥٨]. ومازال على ذلك طول الأيام الظاهرية[٥٩]. وعليه فلم يكن الصاحب بهاء الدين مطلق اليد فقط، بل كان مستقلاً بالأمور وتصريفها[٦٠].

مكانته بالدولة:

وليس أدل على ما بلغه الوزير الصاحب من مكانة فريدة من وصف موكبه إذ يذكر أنه "كان يركب في خدمته جميع رؤساء الدولة"[٦١]، وكذلك الألقاب التي مُنحت له، والتي ورد بعضها في كتابات المؤرخين[٦٢]، والبعض الآخر في سجل تقلده الوزارة في عهد السعيد بركة كما سيأتي.

ولا شك أنها كانت نتيجة جهد وعمل متواصل، وعطاء وإنجاز طيلة فترة وزارته والتي امتدت إلى ما يقرب من العشرين عاماً (٦٥٩-٦٧٧هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٨م)، من هذه الألقاب "الأوحد"[٦٣]، "الكبير"[٦٤]، الصاحبيّ[٦٥]، السيّديّ[٦٦]، الورعيّ[٦٧]، الزاهديّ[٦٨]... سيد الوزراء في العالمين[٦٩]، كهف العابدين[٧٠]، ملجأ الصالحين[٧١]... مدبر الدولة[٧٢]، سداد الثغور[٧٣]، صلاح الممالك[٧٤]، قدوة الملوك والسلاطين[٧٥]، يمين أمير المؤمنين[٧٦]..."[٧٧].

ويذكر أن الصاحب بهاء الدين أول من لُقب ببعض هذه الألقاب من وزراء المماليك، وذلك لأنه تولى الوزارة مدة طويلة وتمكن من الدولة[٧٨].

وليس أدل على مكانة الصاحب ومنزلته واتساع نفوذه من تلك الرسالة التي خاطبه بها محي الدين بن عبد الظاهر[٧٩]، عندما كان مع السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) في قيسارية[٨٠] سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م)[٨١]. إذ تحدث بعبارات تدل على ما كان لهذا الوزير من مقام لم يرتفع إليه غيره، ومنزلة لم يسم لها سواه[٨٢]. وقد وصفت هذه الرسالة بأنها "أعظم وأجل رسائل الغزو"[٨٣].

وكان مطلعها: "يُقبِّلُ الأرض بساحات الأبواب الشريفة السيدية، الصاحبية البهائية، لازالت ركائب السير تحثُّ إلى أرجائها السَّيْر، وصروف الزمن تسالم خدامها، وتُحِلُّ الغِيَر بالغير، ولا بَرحَتْ موطن البِرِّ ومَعْدِن الجودِ وبحر الكَرمِ وعُكَاظَ الخير، وينهي بعد رَفِع أدعيته التي لا تزال من الإجابة

محُوطة، ولا تبرح يداه بها مبسوطة، أن العبيد من شأنهم إتخاف مواليهم بما يشاهدونه في سفراتهم من عجائب، واطلاعهم على ما يرونه في غزواتهم من غرائب، ليقضوا بذلك حقوق الاسترقاق، وتكون نعم ساداتهم قد أحسنت لأفواههم الاستنطاق، ويتعرضوا لما عساه يعنُّ من مراحمهم التي ما عندهم غيرها ينفذُ وما عندها باق.

ولما كان المملوك قد انتظم في سلك الخدم والعبيد، وأصبح كم له قصيد، في مدح هذا البيت الشريف كل بيت منها بقصيد بيت القصيد..."[٨٤].

واختتمها بأبيات في مدح الصاحب بهاء الدين منها:

وجُلوسُ في باب دَارِك خَيرٌ ... من جلوس في باب إيوان كسرى
والْتِماحي لنُورِ وجهك خيرٌ ... لي من أنني أشاهدُ بدرا!
يا وَلياً يُولي الأياديَ سرًّا ... ووزيراً فليس يكسب وِزراً
ما رأينا والله فيمن رأينا ... لك مِثْلاً من البَرية طُرّا[٨٥]

ومنه يتضح مدى مكانة ومنزلة ذلك الوزير، والتي جعلته محلاً لهذه الأوصاف، ومحطاً لذلك الاهتمام من أحد رموز الدولة.

صراعه مع منافسيه من رجال الدولة:

رأينا كيف بلغ الصاحب بهاء الدين بن حِنا مكانة متميزة عند السلطان بيبرس، تلك المكانة التي جعلته محل ثقة السلطان وتقديره، لدرجة أنه كان يدعوه أبي، ولم يكن يقبل فيه أي وشاية، بل كان يصرح باعتقاده ببركته[٨٦]، فيذكر أن كبار الأمراء أرادوا أن يتحدثوا إلى السلطان بيبرس في عزل الصاحب بهاء الدين، وفكروا في أن يساعدهم الأمير بركة خان ابن السلطان في ذلك، فلما علم السلطان بما دبر الأمراء ادعى أنه به مغص يمنعه من الجلوس للخدمة. وفي آخر النهار سمح للأمراء بالدخول للاطمئنان عليه، وكان السلطان قد اتفق مع خادمه أن يحضر قبعة صيني فيها حلاوة يقطين،

ادعى أن رجل صالح أهداها لـه، وأنهـا تنفـع مـن الأمـراض، فلمـا أحضـرها الخادم أكل منها السلطان شيئاً قليلاً وادعى أنه سـكن مـا كـان بـه وأخبـر بـذلك الأمراء، "فقال: يا أمراء تعرفون الذي أهدى إليّ هـذه الحـلاوة؟ فقـالوا: لا، قـال: هذا أبي الصاحب بهاء الدين، فسكتوا، فلما خرجوا قـال بعضـهم لـبعض: إذا كـان يعتقد أن طعامه يشفي من المرض، أي شيء تقولون فيـه؟!"[٨٧]. وعليـه فلـم يجـد مثل هؤلاء ما يتعلقون به على الصاحب للإيقاع به عند السلطان[٨٨].

وقد سلك معهم السلطان هذا المسلك حتـى يقطـع علـيهم طريـق التفكيـر في ذلك الأمر. وهو إن دل على شيء فإنمـا يـدل علـى مكانـة الصـاحب بهـاء الدين بن حِنّا عنده، وهو بالفعل ما وصـل إلـيهم، بـل وصـرفهم عمـا يرونـون إليه، وإن كان في هذا دليل على حب السـلطان وتقـديره للصـاحب بهـاء الـدين، فمنه يتضح أيضاً مدى حقد العديـد مـن الشخصـيات وأصـحاب المناصـب فـي الدولة على الصاحب ومنزلته عند السلطان.

ولكن رغم تلك المكانة والمنزلـة الرفيعـة فـي الدولـة، إلا أن الصـاحب ابن حِنا كان يخشى بعـض الشخصـيات، وكـان أشـد مـن يخشـاه هـو "الشـيخ خضر"[٨٩] والذي كان يُلقب بـ "شيخ الملـك الظـاهر" وذلـك نظـراً لتمكنـه مـن الظاهر وتقربه إليه، حتى أصبح السلطان يعتقد فـي كلامـه اعتقـاداً كـاملاً، ممـا أدى إلى زيادة مكانته وقوة نفوذه، لدرجـة وصـلت إلـى حـد المجـاهرة بـالقول للصاحب بهاء الدين، مما أدى بالصاحب إلـى التـدبير عليـه، وإطـلاع السـلطان على ما خفي من حقيقة حاله، وأحضر من شهد عليـه بـذلك، إلـى أن تـم اعتقالـه ثم موته في الاعتقال. وقيل أن الصاحب بعث إليه من قتله في الاعتقال[٩٠].

وإذا كان الصاحب بهاء الدين قد نجح فـي الـتخلص مـن الشـيخ خضـر، فإن هناك شخصاً آخر لم يكن في مقـدوره الـتخلص منـه أو حتـى الوشـاية بـه، وهو قاضي القضاة "تاج الدين بن بنت الأعز". ويذكر أنه كـان يترفـع فـي قعـوده

على الصاحب بهاء الدين، ولا يحتفل بأمره، مما أدى إلى كراهية الصاحب للقاضي وخوفه منه، فما كان منه إلا أن أخذ يوغر قلب السلطان على القاضي ويحاول الإيقاع به[٩١]، إلا أنه لم ينجح نظراً لمكانة القاضي[٩٢].

ومن طريف ما يذكر عن طبيعة العلاقة بين الطرفين أن ابن حِنّا كان يود "لو دخل القاضي تاج الدين إلى منزله، فلم يتفق له ذلك، حتى تمرض فعاده الناس، وجاء القاضي عائداً، فلما رآه ابن الحِنّاء وثب من الفراش ونزل من الإيوان، فلما رآه القاضي، قال: إنما جئنا لنعودك لأنه بلغني أنك في مرض شديد، وأنت قائم، سلام عليكم، ثم رد ولم يزل على ذلك"[٩٣].

وممن خشيهم الصاحب أيضاً وسعى في إبعادهم والوشاية بهم عند السلطان القاضي "برهان الدين بن السنجاري"[٩٤]، الذي ولى القضاء بمصر لفترة، ولكن عمل عليه الصاحب، ومازال بالسلطان إلى أن صرفه، بل حبسه وضربه. وبقي معزولاً إلى أن مات الصاحب بهاء الدين، فولاه السلطان السعيد بركة (٦٧٦-٦٧٨هـ/ ١٢٧٧-١٢٧٩م) الوزارة بعد بهاء الدين[٩٥].

ومن هذا القبيل أيضاً ما صدر من الصاحب بهاء الدين تجاه القاضي "صدر الدين بن موهوب"[٩٦] الشافعي، الذي ولي القضاء بعد الشيخ "عز الدين بن عبد السلام" والذي خشي من الصاحب بهاء الدين، وحُكي عنه: "لما خفت الصاحب بهاء الدين رأيت رسول الله في المنام، فسألني عن حالي، فقلت يا رسول الله: إني أخاف من الصاحب، فقال لي: لا تخف منه، وقل له بأمارة كذا وكذا لا تؤذني، فإن رسول الله قد شفع فيّ عندك. قال: فانتبهت فرحاً بمقابلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولما صليت الصبح ركبت دابتي ووقف للصاحب في طريق القلعة، فسلمت عليه وقلت له معي رسالة، فقال: ممن هي؟ قلت: من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول لك بأمارة كذا وكذا لا تؤذني، فإن رسول الله شفع في عندك. فقال: صدقت أنت وصدق رسول الله

(صلى الله عليه وسلم). والله ما حصل لك سوء مني أبداً، ... واعتذر إليه وبقي يعظمه. ولو فسح في أجله لولاه القضاء بعد تاج الدين"[٩٧].

وإن كان في هذا دليل على مدى قوة نفوذ وسطوة الصاحب بهاء الدين، ومدى تمكنه من دولة الظاهر، حتى أصبح القاضي يتخوف منه، وما يمكن أن ينال من أذاه[٩٨]. ففيه أيضاً إشارة إلى مدى تدينه وحبه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد ظهر ذلك جلياً في مواقف عدة، منها على سبيل المثال اهتمامه بقصيدة "البردة" لـ "البوصيري"[٩٩] الشاعر واحترامه وتقديره لها. تلك القصيدة التي أنشدها البوصيري في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتي تُعد من أشهر المدائح فيه عليه الصلاة والسلام. ويذكر أن سبب نظمه لها هو وقوع مرض ألم به، وعجز الأطباء عن علاجه. ففكر البوصيري في عمل قصيدة يستشفع بها، لعل الله يعافيه. وأنه لما أتمها رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في منامه فمسح بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته. ثم لقيه أحد الفقراء وطلب القصيدة منه، مع العلم أنه لم يكن أعلم بذلك أحداً، ولما قال ذلك للفقير أجابه قائلاً: "والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله" فأعطاه إياها. وذكر الفقير ذلك وشاع المنام، إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حِنا، فبعث إلى البوصيري وأخذها، وحلف لا يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس، وكان يحب أن يسمعها هو وأهل بيته، واحتفظ بها في صندوق آثاره[١٠٠]. وإذا كانت هذه مواقف تشير إلى تدينه وصحة اعتقاده في الصلحاء والأتقياء، فإن الصاحب قد تحلى بصفات أخرى لا تقل أهمية عنها.

صفاتـــــه:

وُصف الصاحب بهاء الدين بن حِنا بصفات كثيرة سبق الحديث عن بعض منها كوصفه بأنه "أحد رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاءً وخبرة وتصرفاً"(١٠١)، كما وُصف في وزارته أنه كان واسع الصدر عفيفاً عن أموال الرعية والدولة، نزيهاً لا يقبل من أحد شيئاً إلا أن يكون من الصلحاء والفقراء، فقد كان قائلاً بهم يحسن إليهم ويحترمهم ويدر عليهم الصلات الكثيرة(١٠٢)، والتي قيل أنها كانت تخرج عن الحد في الكثرة، حتى كانت تصل إلى الأمراء والأعيان. وتجدر الإشارة إلى أنه ما كان ينعم به من منح وعطايا، كان يخرجه من ماله الخاص، والذي كان مصدره التجارة(١٠٣). وهو ما أكده المؤرخون، فقد ذكروا أنه "كان له متاجر يعود نفعها عليه، ومنها معظم نفقاته وهداياه وصدقاته"(١٠٤).

هذا كله بالإضافة إلى ما وصف به من صفات حسنة مثل "الزاهد، العالم، الخصال الكامل، السالك الناسك، لسان المحققين، وقدوة العارفين"(١٠٥).

هذا فضلاً عما وُصف به من الجود والكرم، وقد أفاض الكتاب والمؤرخون في الحديث عن كرم الصاحب وجوده وعطائه الذي وصل إلى حد السخاء، والذي وصفه المقريزي بقوله: "... وكان عطاؤه واسعاً وصلاته وكلفه للأمراء والأعيان ومن يلوذ به ويتعلق بخدمته، يخرج عن الحد في الكثرة، وتتجاوز القدر في السعة، مع حُسن الظن بالفقراء، وصدق العقيدة في أهل الخير والصلاح والقيام بمعونتهم، وتفقد أحوالهم، وقضاء أشغالهم، والمبادرة إلى امتثال أوامرهم، والعفة في الأموال... وكثرة الصدقات في السر والعلانية"(١٠٦). كما وصف أيضاً أنه كان يحسن الظن إلى من يتصل بخدمته وخدمة أولاده، وينتمي إليهم، وأنه كان حسن الظن بالفقراء والمشايخ وكثير الإكرام لهم(١٠٧).

وهو ما برهن عليه ابن شداد في سرده لأحداث سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، وتحت عنوان: "ذكر ما اعتمده المولى الصاحب بهاء الدين في سفره إلى الشام في هذه السنة"، حيث قال: "ولما برز من مصر إلى العش كتب جميع من معه في الصحبة من الأعيان والأتباع والمتصرفين والكتاب، فرتب لدوابهم العليق، ولهم الطعام في كل منزلة، وكل منهم على قدر مرتبته زايداً على كفايته والحلوى والفاكهة، ولما وصل إلى غزة أنعم على جميع الضعفاء والفقراء بجملة مستكثرة، واعتمد ذلك في طريقه أجمع، واتفق أن دخوله إلى الرمل كان الحاج قد عاد من الحجاز إلى الخليل عليه السلام. وزار القدس الشريف، وقصد الديار المصرية. فصادفناهم في الطريق وهم خلق كثير. نجد في كل منزلة منهم خلقاً فكساً أكثرهم، وفرق النفقة عليهم، واكترى للضعفاء منهم، بحيث لم يبق إلا من شمله بره على حسب ما يسره الله تعالى..."[١٠٨].

وبالإضافة إلى ذلك كان الصاحب بهاء الدين يتمتع بالفراسة وصدق الحدس إلى درجة كبيرة، مما ساعده على إنجاز عمله على الوجه الأكمل. فيحكي أنه "من جملة سعادته أول وزارته نزل إلى دار الوزير الفائزي ليتتبع ودائعه، ويأخذ ذخائره، فوجد ورقة فيها أسماء من أودع عنده أمواله، فعرف الحاضرون كل من سمي في الورقة، وطلب وأخذ منه المال. وكان من الأسماء مكتوب: الشيخ ركن الدين أربعون ألف دينار فلم يعرف الحاضرون من هذا الشيخ الذي يودع أربعين ألف دينار، ففكر الصاحب بهاء الدين زماناً، وقال: احفروا هذا الركن، وأشار إلى ركن الدار، فحفروه فوجدوا المال"[١٠٩].

وخلاصة القول أن الصاحب بهاء الدين لعب دوراً بارزاً في سير الأحداث في مصر في سلطنة الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) وبلغ من المكانة والنفوذ ما لم يبلغه غيره من وزراء العصر المملوكي على الإطلاق، وإذا كان بهاء الدين قد بلغ تلك المكانة السامية

والمنزلة الرفيعة، فإنه لم يكن هو وحده من تصرف وتحكم في دولة الظاهر، بل شاركه في الأمر أبناؤه وأحفاده، حتى نالوا من المكانة والشرف ما لا يقل عن منزلة أبيهم، حتى وصف بأنه "رأس أسرة مجيدة خدم كثير من أفرادها الدولة ردحاً من الزمان، وكانوا أهل ثروة وجاه وأدب وعلم"(١١٠). ولكل هذا اعتبر البعض أن تولية السلطان للصاحب بهاء الدين منصب الوزارة أمراً من حسنات السلطان، بل وأكبر دليل على حزمه وسداد رأيه وعزمه(١١١).

تقلص نفوذ الصاحب بهاء الدين ووفاته (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م):

بعد وفاة الظاهر بيبرس (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) ووصول السعيد بركة للسلطنة أقر الصاحب بهاء الدين على ما كان عليه في عهد والده وجدد له العهد بسجل من إنشاء محي الدين بن عبد الظاهر جاء فيه: "الحمد لله الذي وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه ولياً وجعل مكان سرها وشد أذرها علياً، ورضي لها من لم يزل عند ربه مرضياً... فلذلك خرج الأمر العالي لا برح يكسب بهاء الدين المحمدي أتم الأنوار ولا برحت مراسمه تزهو من قلم منفذه بذي الفقر وذي الفقار. أن يتضمن هذا التقليد الشريف بالوزارة العامة الشاملة الكاملة، من المآثر الشريفة الصاحبية البهائية أحسن التضمين، وأن ينشر منها ما يتلقى رايته كل رب سيف وقلم باليمين، وأن يعلم كافة الناس، ومن تضمه طاعة هذه الدولة وملكها ويسلكها من ملك وأمير، وكل مدينة ذات منبر وسرير... أن القلم المبارك الصاحبي البهائي في جميع هذه الممالك مبسوط، وأمر تدبيرها به منوط، ورعاية شفقته لها تحوط. وله النظر في أحوالها وأموالها وإليه أمر قوانينها، ودواوينها وكتابها وحسابها ومراتبها ورواتبها وتصريفها ومصروفها، وإليه التولية والصرف... فهو صاحب الرتبة التي لا يحلها سواه، وسوى من هو مرتضية من السادة الوزراء بنيه..." (١١٢).

على أن هذا النفوذ لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما تقلص وغُلت يد الوزير وحُددت سلطاته وذلك بعد أن عين السلطان السعيد بركة نائباً له على السلطنة في بداية سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م. إذ أمر الصاحب بهاء الدين أن يجلس بين يديه، وألا يوقع إلا بأمره[١١٣]. ثم ما لبث أن كانت نهاية النفوذ السياسي لهذه الأسرة في عهد الملك السعيد، بوفاة الصاحب بهاء الدين وذلك في مستهل ذي القعدة سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م[١١٤]. وله من العمر أربع وسبعين سنة[١١٥].

وكان الملك السعيد آنذاك بالشام، ومعه تاج الدين وزين الدين[١١٦] في وزارة الصحبة[١١٧]. فما أن ورد الخبر بوفاة الصاحب بهاء الدين إلا وقُبض على تاج الدين، وضربت الحوطة على موجوده[١١٨]. ويذكر أن "الحوطة وقعت على تاج الدين وأخيه زين الدين، وعلى ابن عمه عز الدين بن محي الدين، وأخذ خط كل واحد منهم بمائة ألف دينار بدمشق، وسير الجميع تحت الحوطة إلى مصر"[١١٩].

ولم يكتف بذلك فقد ذكر المقريزي "... وجهز على البريد إلى مصر ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين وابن عمه عز الدين تكملة ثلاثمائة ألف دينار، وأحيط بأسبابه، ومن يلوذ به من أصحابه ومعارفه وغلمانه وطولبوا بالمال"[١٢٠].

وقرر في الوزارة بعد الصاحب بهاء الدين قاضي القضاة "برهان الدين ابن السنجاري"[١٢١]، ويذكر أنه كان بينه وبين ابن حِنّا عداوة ظاهرة وجفون كامنة فبلغ من التمكن في أولاده وأمواله ما كان يأمله، وساعده على ذلك عدة من الأمراء لأحقاد في نفوسهم من الصاحب بهاء الدين[١٢٢].

ورغم هذه النهاية لوزارتهم وسلطانهم السياسي في سلطنة الملك السعيد، إلا أنهم ظلوا على مكانتهم وحرمتهم الوافرة، والتي أهلتهم لتولي نفس الوظائف بعد عقود من الزمن، فضلاً عن ظهور شخصيات أخرى تنتمي لهذه الأسرة، حققت مجداً ومكانة متميزة، وذلك بفضل علمهم وجهدهم، ولعل آثارهم الباقية خير شاهد على تفوقهم.

أبناء الصاحب بهاء الدين بن حِنَا وأحفاده:

تقلد أبناء الصاحب بهاء الدين بن حِنّا المناصب الجليلة والرتب الرفيعة، وذلك بعد أن أثبتوا كفاءات ومهارات أهلتهم لهذه المناصب، وحتى من لم ينل منهم منصباً أو يقلد وظيفة، نال من الشرف والمكانة في الدين والأدب ما فاق به أقرانه وأبناء عصره، ورفع اسم أسرة ابن حِنّا وأمد ذكرها لعشرات السنين، وجعل لها البصمات الواضحة في تاريخ مصر في العصر المملوكي.

كان للصاحب بهاء الدين بن حِنّا ولدان وهما: الصاحب فخر الدين محمد، والصاحب محي الدين أحمد[١٢٣]. وقد كان لكل منهما مكانة وشرف.

فخر الدين محمد بن بهاء الدين (٦٢٢-٦٦٨هـ/ ١٢٢٥-١٢٦٩م)

(الابن الأول):

الوزير الصاحب فخر الدين أبو عبد الله محمد ابن الوزير الصاحب بهاء الدين ابن القاضي السديد ابن حِنّا المصري الشافعي[١٢٤]. وُلد سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) [١٢٥]. سمع الحديث بالقاهرة ودمشق على كبار الأئمة والمحدثين، وحدث وكُتب عنه، حتى وُصف بأنه "كان فقيهاً عالماً"[١٢٦]. ودرس على مذهب الإمام الشافعي[١٢٧]، ويكفيه فخراً أنه درس بالشافعي بعد ابن بنت الأعز[١٢٨]، كما درس بمدرسة والده، والتي كانت بزقاق القناديل[١٢٩]، فضلاً عن التدريس في المدرس المجدية الخليلية[١٣٠]، كما برع في الأدب حتى أصبح له نثر وشعر جيد[١٣١].

وشهد له شيخ الإسلام "ابن عبد السلام"(١٣٢) بالعدالة في جامع مصر، وبحضور جمع كثير من العلماء والفقهاء والأكابر والقُراء(١٣٣).

وكان ديناً فاضلاً محباً للخير وفيه بر وصدقة(١٣٤). تزوج بابنة الصاحب "هبة الله بن صاعد الفائزي" ويذكر أنه ناب عن حميه في الوزارة(١٣٥). كما ولي ديوان الأحباس(١٣٦) قبل وزارة والده(١٣٧). ولما تولى والده الوزارة ناب عنه، ثم ما لبث أن تولى هو وزارة الصحبة(١٣٨) للظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م). فقام بها على الوجه الأكمل. حتى امتدحه ابن شداد بقوله: "فساس الأمور بصايب رأيه الخاص والعام، وكاد الأعداء، فحنست أنوفهم بالأرغام، ولصقت خدودهم ذلة بالرغام..." (١٣٩).

وصاحب فخر الدين السلطان في رحلاته وأسفاره وفتوحاته، وقد تواترت الأخبار عن هذا في كثير من المصادر، كما وكلت إليه العديد من الأعمال كالتوقيع على المناشير أو استلام الحصون. ومن ذلك ما حدث عند تسلم السلطان لـ "الكرك"(١٤٠)، حيث تسلمها الصاحب فخر الدين نيابة عن السلطان. ونظراً لما كان يتمتع به من علم وفقه كان السطان يقدر رأيه ويقتنع به. ومن ذلك ما حدث سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م عندما فتح السلطان "أنطاكية"(١٤١). وغنم منها غنائم كثيرة، وبعدها عزم على أخذ أراضي كثيرة من القرى والبساتين من أيدي ملاكها، وأفتاه بذلك فقهاء من الحنفية، بزعم أنها لو كانت وقعت في أيدي التتار لأخذوها. ولكن سرعان ما تدخل الصاحب فخر الدين بن حِنّا، وأفتى بأن أهل البلد يصالحونه عن ذلك كله بألف ألف درهم، تقسط كل سنة مائتا ألف درهم مستنداً في ذلك إلى المذهب الشافعي، فأبى السلطان إلا أن تكون معجلة بعد أيام، ولكن الصاحب فخر الدين مازال به حتى وافق على تقسيطها، على أن يعجلوا من ذلك أربعمائة ألف درهم، ويعاد إليهم ما وقعت الحوطة عليه. وقرئت البشارة بذلك وفرح الناس. وكان هذا بمشورة ورأي وزير الصحبة(١٤٢).

ومنه يتضح مدى ما تمتع به الصاحب فخر الدين من مكانة في الدولة، وتأثير في سير الأحداث آنذاك، وتجدر الإشارة إلى أن مكانة "فخر الدين" وهيبته في النفوس لم تكن نتيجة توليه وزارة الصحبة فقط، أو حتى تولي والده لوزارة السلطان، بقدر ما كانت راجعة إلى شخصيته وعلمه وتأثيره – ليس فقط – في نفوس العامة، بل وفي كبار رجال الدولة، ولم يكن ذلك قاصراً على مصر، بل امتد إلى بلاد الشام، وليس أدل على ذلك مما حدث سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م عندما بعثه الأمير فارس الدين أقطاي[١٤٣] – في سلطنة المعز أيبك[١٤٤]– رسولاً من قبله إلى صاحب "حماة"[١٤٥] يلتمس وصله ويخطب إليه ابنته، وكان ذلك قبل أن يلي أبوه الوزارة لشجر الدر[١٤٦]، وأكد ذلك المقريزي وزاد عليه أن صاحب "حماة" – الأيوبي – وافق بالفعل، بل وحمّلها للصاحب فخر الدين حتى وصل إلى دمشق في تجمل عظيم، ثم ما لبث أن وصل خبر مقتل أقطاي[١٤٧]، فعادت العروس إلى أبيها، ولا يخفى أن أمانة ومكانة فخر الدين جعلته محل ثقة فارس الدين أقطاي، حتى يحمله هذه الأمانة، وفي المقابل لا يتردد الأمير الأيوبي في "حماة" إلى إجابة طلبه، بل وتسليمه ابنته.

وبعد أن وصل أبوه للوزارة، ازدادت مكانته، ومهابته في النفوس، خاصةً مع ما تمتع به من تدين وعلم وحب لأهل الخير والصلاح، وتفقد لأحوالهم، فضلاً عما ترك من عمائر وآثار، كانت شاهداً على مكانته وعلمه[١٤٨]. وظل فخر الدين وزيراً للصحبة إلى أن توفى، وكان ذلك في يوم الاثنين، حادي عشر شعبان سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م[١٤٩]، ودُفن بتربتهم في القرافة[١٥٠]. وفجع به أبوه وكانت له جنازة عظيمة[١٥١].

ولما مات رثاه البوصيري بقوله (الخفيف):

نم هنيئاً محمد بن علي ... بجميل قدمت بين يديكيا
لم تزل عوننا على الدهر حتى ... غلبتنا يد المنون عليكا
أنت أحسنت في الحياة إلينا ... أحسن الله في الممات إليكا

وكان لهذه الأبيات أثر كبير على من حضر، فتباكى الناس تأثراً بها، وقيل إنه كتبها على قبره[١٥٢]. ورتب في وزارة الصحبة – مكانه – ولده الصاحب تاج الدين[١٥٣].

محي الدين بن بهاء الدين (٦٣٥-٦٧٢هـ/ ١٢٣٨ - ١٢٧٣م) (الابن الثاني):

المولى الصاحب محي الدين أبو العباس أحمد بن بهاء الدين علي بن محمد بن سليم الشافعي المصري. وهو ابن الصاحب "بهاء الدين بن حِنّا"[١٥٤]، وكان مولده في سنة خمس وثلاثين وستمائة[١٥٥]. سمع من جماعة وروى اليسير[١٥٦]. ويذكر أنه كان "كريماً عاقلاً كثير الصدقة وكثير البر، وله المعروف الزايد والصدقات الكثيرة السرية، كثير الاشتمال على أهله ديناً صالحاً عفيفاً"[١٥٧]، محباً للعلم منكباً عليه ودرس بمدرسة والده[١٥٨]، وقد ولي التدريس بها بعد وفاة أخيه فخر الدين[١٥٩].

وفيه قال الذهبي: "... وكان منقطعاً عن المناصب، منعزلاً منفرداً كثير المعارف والديانة"[١٦٠].

وتوفى الصاحب محي الدين بن بهاء الدين أيضاً في حياة والده، كان ذلك في ثامن شهر شعبان سنة (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) ودُفن في تربة والده بالقرافة، ووجد عليه والده وجداً كثيراً، وعملت له الأعزية والتلاوة والختم في البلاد المعتبرة[١٦١]. وإذا كان بهاء الدين بن حِنّا قد ابتُلي بفقد ولديه في حياته على هذا النحو، فإن الله عوضه بأحفاد رفعوا ذكر الأسرة، وأعلو شأنها لأكثر من قرن من الزمان، "فما منهم إلا نجيب وصدر ورئيس فاضل مذكور[١٦٢]".

الصاحب زين الدين أحمد بن فخر الدين (ت٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م):

أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم الصاحب زين الدين ابن الوزير الصاحب فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير الكبير بهاء الدين علي بن حِنّا[١٦٣] وهو أخو الصاحب تاج الدين – الآتي ذكره –[١٦٤]، كان فاضلاً متديناً، محباً للفقراء وأهل الخير، رئيساً سخياً بما يُراد منه من الجود ويطلب متحلياً بقلائد والمحاسن، محترماً صاحب حرمة وافرة ومهابة

كبيرة، حسن الأخبار والآثار[١٦٥] تفقه على مذهب الشافعي، ولي التدريس بمدرسة جده[١٦٦]. قُلد وزارة الصحبة للسلطان بيبرس[١٦٧]. وعنه قال ابن شداد: "فأقر بحسن تدبيره العيون، وحقق فيما فُوض إليه من الأمور الظنون، وجعل العلم علماً يهتدي به في حل مشكلات الأمور، والميل إلى العباد والزهاد جنة تقيه المحذور"[١٦٨]، كما ناب عن جده في الوزارة[١٦٩].

ولم يكن الصاحب زين الدين في مصاحبته للسلطان وزيراً للصحبة فقط، بل كان يحرص كل الحرص على المشاركة بنفسه في حروب السلطان، فيكون ضمن الصفوف الأولى للجيش، يحارب بكل شجاعة وإقدام. وقد أفاض ابن عبد الظاهر في وصف موقف من ذلك فقال: "... وكان مولانا الصاحب زين الدين – حرس الله جلاله – لما دُعي إلى النزال أول مسابق، وأسرع راشق، وأقرب مطاعن، وأعظم معاون..."[١٧٠].

واستمر في وزارة الصحبة إلى أن توفى الملك الظاهر (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، وتولى ابنه الملك السعيد، ثم وقعت عليه الحوطة ضمن من وقعت عليهم بعد وفاة الجد بهاء الدين بن حِنّا في عهد السعيد بركة. ورغم ذلك فقد ظل على حرمته ومكانته طيلة حياته، معتمداً على زهده وتقواه وعلمه وأدبه، ودرايته بسياسة الأمور، مستمداً ذلك من البيت الذي نشأ به والبيئة التي شب فيها، مما أهله للظهور على الساحة السياسية مرة أخرى، إذ يذكر أنه لما فوضت الوزارة لأخيه الصاحب تاج الدين سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، كان هو مشاركاً له، إذ كانا يجلسان معاً في مجلس الوزارة لمباشرة الأمور[١٧١]، وعنهما قال الشاعر:

أما إذا حاوى أخاه أحمد بحران ... شاهدت بحري الندى نائل وعلوم

إن شئت الندى ونجمان إن ... شئت الهدى نحو ثان في الإقليم

وكانت وفاته يوم سابع صفر سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م ودُفن بالقرافة[١٧٢].

الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين(٦٤٠ - ٧٠٧هـ/١٢٤٣-١٣٠٧م):

المولى الصاحب شرف الوزراء تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن سليم المصري[١٧٣]. ابن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين [١٧٤] وهو ابن بنت الوزير شرف الدين هبة الله الفائزي[١٧٥].

ولد الصاحب تاج الدين سابع شعبان سنة أربعين وستمائة[١٧٦]. سمع وحدّث بمصر ودمشق، ووصف بأنه "... انتهت إليه رئاسة عصره بمصر، وكان ذا تصوف وسؤدد ومكارم وشكل حسن، وبزة فاخرة إلى الغاية، يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح ويجود بالصدقات الكثيرة، مع التواضع ومحبة الفقراء وأهل الصلاح، والمبالغة في اعتقادهم..." [١٧٧]. وغير ذلك الكثير من الصفات الحميدة التي أفاض فيها الكُتاب والمؤرخون[١٧٨]، ولا غرو في هذا فقد نشأ في بيت مجد[١٧٩]، وتربى في بيئة دينية وعلمية وسياسية أيضاً، حتى أصبح من رجال العصر المعدودين. ويبدو أن كل ذلك هو ما جعل الصاحب بهاء الدين يؤثره على أولاده لصلبه[١٨٠]. كما يذكر أنه شارك في كثير من الحروب والغزوات وأظهر براعة وشجاعة منقطعة النظير[١٨١].

ولي الصاحب تاج الدين وزارة الصحبة للملك الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) وذلك عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، بعد وفاة والده الصاحب فخر الدين. وعندما تقلد المنصب "بر بالرعية وعمهم بالرأفة والعطية"[١٨٢]. كما أثبت كفاءة وأمانة في عمله، فقد كان يخرج في صحبة السلطان في أسفاره وغزواته ويعاونه ويدبر شئونه، ويكتب عنه ما أنجز من أعمال وما حققه من فتوحات، من ذلك ما حدث سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م أثناء خروج السلطان إلى الشام، ويذكر أنه في هذه السفرة أصاب الصاحب تاج

الدين مرض فأذن له السلطان بالعودة إلى مصر[١٨٣]. كما ناب عن جده في الوزارة أثناء خروج الجد إلى الشام في صحبة السلطان[١٨٤]. وعن وزارته قال ابن حبيب: "وزيراً اشتد بالعلم أزره، وارتفع في منازل العز ذكره، وجبلت على الخير طباعه، وجرى بصلة الرزق براعة"[١٨٥].

واستمر الصاحب تاج الدين في وزارة الصحبة حتى وفاة السلطان الظاهر (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، بل تولاها أيضاً لولي العهد الملك السعيد (٦٧٦-٦٧٨هـ/١٢٧٧-١٢٧٩م) إلى أن توفى جده، ووقعت الحوطة على أبناء هذه الأسرة وأخذ خدلهم على مال. ورغم هذه النكبة إلا أنه مازال على حرمته ومكانته حتى قيل أن رياسته كانت فوق الوزارة[١٨٦]. ومكانته تلك هي التي أهلته لتولي الوزارة في سلطنة الناصر محمد الأولى (٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م) وذلك يوم الاثنين رابع عشرين صفر سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م[١٨٧]. وخلع عليه خلعة الوزارة[١٨٨]، وذكر القلقشندي نسخة تقليده بالوزارة[١٨٩] ومما جاء فيها "الحمد لله مكمل شرف الوزارة بطلعة تاجها، ومشرِّف قدرها بمن تشرق عليها أشعة سعده إشراق الكوكب على أبراجها، ورافع لواء مجدها بمن تلقته بعد الجفاء في حُلل سرورها وحُلي ابتهاجها،... نحمده على أن شد أزر ملكنا بأكرم وزير، وأيمن مشير، وأجل من ينتهي إلى بيت كريم، وحسب صميم[١٩٠].

كما فوضت وزارة الصحبة لابن عمه الصاحب عز الدين بن الصاحب محي الدين، وكانا يجلسان جميعاً في شباك الوزارة، ويوقع الصاحب تاج الدين[١٩١].

ولكن على الرغم مما عُرف عن الصاحب تاج الدين من فضل ومكانة، إلا أنه أخمل العمل وأساء التصرف في وزارته هذه ولم ينجب فيها، وانشغل عن أمور الدولة بتدبير أحواله الخاصة، وجمع ما سبق مصادرته منه، مما

أدى إلى اضطراب الأمور وتدهور الأحوال[١٩٢]. ولهذا لم يستمر فيها طويلاً وعزل منها بالقاضي فخر الدين بن الخليلي[١٩٣] ناظر دواوين الوزارة[١٩٤]. ويذكر أنه أعيد للوزارة مرة أخرى، وذلك دون أن تذكر المصادر تاريخ ذلك[١٩٥].

على أية حال فإن الصاحب تاج الدين: "رأى من العز والوجاهة ما لا رآه جده وساعده على الرئاسة حظه وجده، وكان ذا تصون ورياسة وسيادة دهره في سره وجهره"[١٩٦]. بالإضافة إلى ما تحلى به من الصفات التي أوردها عنه الكتاب والمؤرخون[١٩٧]، والتي تؤكد جميعها على سمو نفسه وعلو منزلته تلك التي جعلته في منعة وسؤدد طوال حياته. هذا فضلاً عن عطائه وكرمه الذي لا يجاري وقد أفاض الكتاب في القول عن ثرائه وكرمه الفائق للحد. ولا أدل على ذلك من الضيافة التي أعدها لجده الصاحب بهاء الدين ذات يوم، والتي جعلت الناس يتعجبون من همته وكرم نفسه. ولما سمع جده ذلك من الناس قال لهم: "وما ذكرتموه بعجيب لأن نفسه كريمة ومكنته متسعة"[١٩٨]. ولعل ذلك كله ما جعله يُعرف بـ "رئيس مصر"[١٩٩].

بالإضافة إلى هذا كان الصاحب تاج الدين أديباً شاعراً، ذكر أن له "نظم جيد"[٢٠٠]، جمع في ديوان لطيف[٢٠١]، ووصفه ابن حبيب قائلاً "... ونظم زكا أمثله وفروع ونثر أطرب أرباب الأدب سجعه"[٢٠٢]، ومن شعره (الطويل):

توهم واشياً بليل مزارنا فجاء ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتخذنا تلازماً فلم يرَ واشينا سوى فرد واحد[٢٠٣].

وهو القائل:

| | |
|---|---|
| لله في الأحوال لطف جميل | فاغن به عن ذكر قال وقيل |
| لا تفارق أبداً بابه | فمنه قد جاء العطاء الجزيل |
| واشكر على الإنعام فيما مضى | كم أسبل الستر زماناً طويل |
| واخيبة المعرض عن بابه | خلّي كريماً ثم أمّ البخيل |
| فقل لمن عدد إنعامه | كل لسان عن هذا كليل[٢٠٤] |

وظل الصاحب تاج الدين على مكانته وحرمته إلى أن توفى بعد أن ترك الكثير من الآثار الأدبية والمعمارية. وكانت وفاته يوم السبت خامس جمادي الآخر سنة سبع وسبعمائة[٢٠٥]. وكان ذلك بداره ببركة الحبش ودُفن بتربته بالقاهرة[٢٠٦].

الصاحب عز الدين محمد بن محي الدين بن حِنّا(٦٥٣-٦٩٤/١٢٥٥-١٢٩٤م):

الصاحب "محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن سليم" عز الدين أبو عبد الله ابن الصاحب محي الدين ابن الصاحب الكبير بهاء الدين أبي الحسن بن حِنّا[٢٠٧]. من بيت وزارة، ولد في العشر الأخير من ذي الحجة سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، نشأ في بيت دين وعلم وحرمة، سمع الحديث ودرسه بإفادة زائدة وله مشيخة[٢٠٨]. كما ولي التدريس بمدرسة جده[٢٠٩]، كان يحب أهل الخير ويكرمهم[٢١٠].

ولي وزارة الصحبة للسلطان الظاهر بيبرس، كما ناب عن جده في الوزارة[٢١١]. وعنه قال ابن شداد: "... فسلك في تدبير الرعية الرأي الأحزم، ورأى الشنشة التي حكمت التجربة أنها من أخزم"[٢١٢]. ومازال على الصحبة طيلة عهد السلطان الظاهر، وبداية سلطنة السعيد بركة، إلى أن توفى جده الصاحب بهاء الدين، فكان ضمن من وقع عليهم الحوطة، وطُولب بالمال، ولكن رغم ذلك فإنه مازال على حرمته ومكانته إلى أن وليّ وزارة الصحبة

للناصر محمد في سلطنته الأولى (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م) ووزارة ابن عمه تاج الدين، فكانا يجلسان سوياً في شباك الوزارة بقلعة الجبل[٢١٣] والصاحب تاج الدين هو الذي يوقع[٢١٤].

وكانت وفاته يوم الأحد تاسع جمادي الأولى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م ودُفن من الغد بتربتهم بالقرافة[٢١٥]. وكان هؤلاء الأحفاد الثلاثة آخر من تولى الوزارة من أبناء الصاحب بهاء الدين بن حِنّا، وقد وردت أسماء هؤلاء في السجل الذي أصدره الظاهر بيبرس لتجديد العهد والتقليد لأبناء هذه الأسرة[٢١٦].

ولكن ليس معنى أن هؤلاء آخر من تولى مناصب بالدولة المملوكية أن دور أسرة ابن حِنّا قد اضمحل. إذ أن الواقع التاريخي يؤكد أن أبناء هذه الأسرة قد ظلوا في مكانة رفيعة وحرمة وافرة لفترة طويلة من الزمن امتدت حتى القرن التاسع الهجري، وذلك بما حازوا من علم، وما تركوا من آثار علمية وأدبية جعلت منهم رؤساء وأكابر في دولة المماليك، وذلك رغم عدم تقلدهم مناصب رسمية بالدولة. ولا غرو في ذلك، فهم "لم يبرحوا بيت رياسة وحشمة من أولهم إلى آخرهم"[٢١٧]. وكان من أبرز الأسماء التي حفظها التاريخ وتناقلها الكُتّاب:

شهاب الدين بن تاج الدين (ت٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م):

أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم بن حِنّا. الصدر الرئيس الفاضل شهاب الدين ابن الصاحب تاج الدين بن فخر الدين بن بهاء الدين بن حِنّا، الشافعي العدل[٢١٨]. برع في العلم والفقه حتى ولي التدريس بمدرسة جده[٢١٩]، ووصف بأنه كان "فاضلاً رئيساً كبير الهمة نفيساً، مليح المحيا، من بيت يتصوغ في السيادة رياً. حسن العبارة، جميل الشارة، لطيف الإشارة"[٢٢٠] توفى في العاشر من جمادي الأولى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م "ودُفن عند أهله بالقرافة وكان في عشر الأربعين"[٢٢١].

الشمس ابن حنا (ت٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م):

الشمس أبو عبد الله محمد بن الإمام الشرف بن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين ابن الصاحب بهاء الدين بن حِنّا المصري الشافعي[٢٢٢]. درس بمدرسة جده الصاحب بهاء الدين[٢٢٣]. والشريفية، كما ولي حسبة القاهرة، وكانت وفاته في تاسع عشري ربيع الآخر سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، حيث مات فجأة، إذ وقع عن بغلته، ودُفن بالقرافة الصغرى[٢٢٤].

بدر الدين بن شرف الدين بن الصاحب زين الدين: (٧١٧-٧٨٨هـ/١٣١٩-١٣٨٦م):

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم. بدر الدين أبو العباس ابن شرف الدين ابن الصاحب زين الدين ابن الوزير فخر الدين ابن الوزير الكبير بهاء الدين[٢٢٥]. الشافعي المصري، ويعرف بـ "ابن الصاحب"[٢٢٦]. ولد سنة ٧١٧هـ/١٣١٩م سمع الحديث من والده ومن كبار العلماء في عصره، حدث وتفقه في المذهب الشافعي وبرع في الأدب والطب، ودرس وعلق على كتاب "الحاوي". وجمع شعره وسماه "شاد الدواوين" وأفرد ما في النيل وسماه "مقطعات النيل" وله نوادر حادة، مع لطف المحاورة وحُسن المعاشرة وكثرة التندر على نفسه[٢٢٧]، كما صار عالية في لعب الشطرنج.

ومن شعره:

يهينك بأعواد الأراك بثغره إذ أنت للأوطان غير مفارق
إن أنت فارقت العزيب وبارقاً ها أنت ما بين العُذَيْب وبارق[٢٢٨].

وقال في الشطرنج:

لعبت بالشطرنج في غاية تُقصر الواصف عن حدها

وقال أيضاً:

أميل لشطرنج أهل النهى وأشكو من ناقل الباطل[٢٢٩].

وغير ذلك الكثير من الأشعار حتى وُصف بـ "أديب مصر"[٢٣٠].

ولكن مما أخذ عليه أنه "... كان جماعاً للمال يحسن الظن بتصانيف ابن العربي ويتعصب له، ويصرح بالاتحاد ويكثر الشطح والتكلم بالفحش..." وغير ذلك من الصفات السيئة، والتي حدت بالبعض إلى رميه بالكفر، ولكن بعد عقد مجلس له حُكم ببقائه على الإسلام لعدم ثبوت شيء عليه[٢٣١]، وكان ذلك في سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢[٢٣٢].

وكانت وفاته يوم الجمعة تاسع عشرين جمادي الآخرة سنة٧٨٨هـ/١٣٨٦م[٢٣٣]. وذلك عن إحدى وسبعين سنة[٢٣٤].

شمس الدين محمد بن أحمد ( ٧٦٤ - ٨١٣ هـ / ١٣٦٣ - ١٤٠٩م ):

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن حِنّا. القاضي شمس الدين بن عز الدين بن زين الدين بن شرف الدين بن عز الدين بن محي الدين بن بهاء الدين بن حِنّا[٢٣٥]. وُلد سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م بالقاهرة[٢٣٦]. تميز في العلم والأدب وشارك في الفقه والعربية، وكتب في الإنشاء عدة سنين، وخدم عند جماعة من الأمراء، بل وناب في كتابة الدست[٢٣٧]. ويذكر أن جده لأمه "تاج الدين البارنباري" كان موقعاً للدست، فتعلم هو منه ذلك. ثم قدم القاهرة واستقر هو في التوقيع، ثم ناب في كتابة السر[٢٣٨]. كان فقيهاً عالماً، درس بالشريفية بعد والده، كما درس بمدرسة جده ويذكر أنه كان آخر من درس بها من أبناء هذه الأسرة[٢٣٩].

كان أديباً له شعر ونظم جيد حتى قيل أنه "كان كثير الكتب صحيح الذهن له مروءة وبر ومعروف، وجمع مالاً كثيراً من التجارة وغيرها"[٢٤٠]، وعاصره المقريزي وصحبه فترة، وقال عنه: "... كان صاحب حزم وضبط وفيه دُعابة، صحبته سنين.. وهو ممن كان لي به نفع وأنس"[٢٤١]، كما نقل عنه المقريزي في رثائه لنفسه:

شقق عليّ أعظم من شقيقي فدمعي بعد فقدك كالشقيق
وكنت لصاحب أولى رفيق فرُوحُك بالتراضي في رفيق

وكذلك: أوصى النبي بجاره فارحموا ضعفي يا من قووا بالجمال الوارف المُضفي[٢٤٢].

وكانت وفاته لليلة بقيت من جمادي الآخرة سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م[٢٤٣]. وكان موته فجأة ويُقال أنه سُم وتمزق ماله بعده[٢٤٤]. وكان شمس الدين هذا آخر من ذكرهم المقريزي من أبناء هذه الأسرة، والذي كان يعرفه معرفة شخصية ويصحبه، ولم يشر من قريب أو بعيد لأبناء أو أقارب لهذا الشخص، وهو ما أكده صاحب كتاب ذيل الدرر الكامنة، عندما ذكر أن ماله تمزق بعده[٢٤٥]. وفيه دليل على عدم وجود أبناء آخرين معروفين آنذاك.

الإسهامات الحضارية لأسرة بهاء الدين بن حِنّا:

إلى جانب الدور السياسي الذي لعبته هذه الأسرة في حقبة زمنية مهمة من تاريخ مصر، كانت لها إسهامات حضارية في مجالات عديدة، حيث ساهم أبناؤها في إقامة منشآت معمارية، منها ما هو ديني ومنها ما هو اجتماعي، تقرباً إلى الله تعالى. وخدمة للناس، وعليه فقد تركت شاهداً يشهد لها، ويؤكد على مكانتها، بل ويدل على أنها استغلت تلك المكانة فيما ينتفع به، ومنها:

المساجـــد:

سار وزراء مصر في العصر المملوكي على نهج الوزراء الأيوبيين في الاهتمام ببناء المساجد وتعميرها، ويأتي في طليعة هؤلاء الوزراء، الصاحب بهاء الدين بن حنّا وأولاده[٢٤٦]. فقد نسب إليهم إنشاء عدد من المساجد، بالإضافة إلى ما جددوه أو ساهموا في إقامته، أو حتى جددوا الخطبة فيه، ومنها:

المسجد بدير البغل: (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م):

ويُعد المسجد بدير البغل أو القصير أشهر وأهم هذه المساجد، والذي يُنسب لعميد هذه الأسرة "الصاحب بهاء الدين"، وقد بُني في شوال سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م،

حيث يذكر أن جماعة من المسلمين خرجوا إلى دير البغل وكان على رأسهم الصاحب تاج الدين، فمروا بآثار محاريب بجوار الدير، فعرفوا الصاحب بهاء الدين بذلك، فتقدم أمره "إلى ناظر الأحباس، ونواب الحكم، والعدول والمهندسين، وكل من يعتبر حضوره في مثل ذلك"[٢٤٧]. فشاهدوا المكان ورأوا به ما يدل على أنه كان مسجداً، وشهدوا بذلك عند القاضي، فأمر الصاحب بعمارته، فعمر وفتح، ورتب له المؤذنين وإماماً وقومة، وكل ما تحتاج إليه المساجد[٢٤٨]. وقد أشاد ابن شداد بعمله قائلاً: "فهذه منقبة تعد في صحايف حسناته"[٢٤٩].

الجامع التاجي: (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م):

وهناك أيضاً الجامع التاجي بدير الطين[٢٥٠]، عمره الصاحب "تاج الدين" في شهر المحرم سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، وذلك لأنه عمر بستاناً بالمعشوق ومناظر، وكثرت إقامته فيه، وكان جامع دير الطين ضيقاً لا يسع الناس. فرأى الصاحب تاج الدين أن يعمر جامعاً عوضه أكبر منه، فهدمت مساجد مهجورة، وأخذ آجرها وعمدها. واستدعى تاج الدين أصحاب الأحباس وسألهم عن ما يحمل عندهم على الصاحب شرف الدين الأسعد الفائزي من أحكار وأحباس، فكانت عشرين ألف درهم، فأداها عنه، وصرفها في الجامع، وأضاف إليها شيئاً من المال، وبُنيت له منارة مرتفعة[٢٥١]. وعمر فوقه طبقة يُصلي فيها، ويعتكف إذا شاء، ويخلو بنفسه فيها، وولى على خطابته، وكانت أول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة سابع صفر سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م[٢٥٢].

وفي هذا الجامع قال السراج الوراق[٢٥٣] (الطويل):

بنيتم على تقوى من الله مسجداً وخير مباني العابدين المساجدُ
أعلن داعيه الآذان فبادرت إجابته الصمم الجبال الجلامدُ[٢٥٤]

وجاء فيه أيضاً:

هو الجامع الإحسان والحسن الذي أقر له زيد وعمرو وخالد
وقد صافحت شهب الدجى شرفاته فما هي بين الشهب إلا فرقدُ[٢٥٥]

جامع المنشية:[٢٥٦]

جامع المنشية ما بين الخليج والبحر[٢٥٧]، أو كما يسميه المقريزي "الجامع بمنشأة المهراني"[٢٥٨]، ويُنسب إنشاء هذا الجامع إلى القاضي الفاضل[٢٥٩]، وكان يطل على البحر، وفي أيام الظاهر قطع ما كان للمسجد وتعطل، وكان خطيب الجامع يسكن بجوار الصاحب بهاء الدين، ويتردد إليه وإلى ولده محي الدين، فضرع إليهما لإعادة ما كان للجامع. وبالفعل تم ذلك. وكان حول المسجد أرض واسعة يذكر أنها كانت بستاناً للقاضي الفاضل، ولكنه خرب زمن الظاهر، وأصبح أرضاً مرصدة لعمل أقمنة الطوب الآجر. فاشتراها الصاحب بهاء الدين حتى يعطل عمل الأقمنة، التي كان يتضرر منها ابنه الصاحب فخر الدين، وبعد وفاة الأخير، تحدث الصاحب بهاء الدين مع الملك الظاهر في عمارة جامع هناك فعمر السلطان بها هذا الجامع، ووقف عليه بقية الأرض المذكورة، وجعل النظر لأولاد وذرية الصاحب بهاء الدين[٢٦٠].

هذا بالإضافة إلى مساجد أخرى صغيرة ذكرها ابن دقماق في مواضع متفرقة ومنها ما ذُكر في سياق الحديث عن سقيفة دار الصاحب بهاء الدين، حيث قال: "سقيفة دار الصاحب بهاء الدين، وهذه السقيفة على يمنة من سلك من شجاعة... ويسلك من سفليها إلى زقاق غير نافذ فيه أبواب وقاعات الصاحب ويعرف أحدها بباب ركوبه، وفيه مسجد عمره يخرج يصلي فيه أحياناً ويجلس فيه أحيانا"[٢٦١]. ومسجد آخر بحمام أبو فروه عمره الصاحب بها الدين، ومنع من يدخله لغير صلاة[٢٦٢]. ومسجد آخر بجوار خوخة حايز الأوز[٢٦٣]. وكان آخر ما نُسب لهذه الأسرة مسجد الشعيبية، والذي شجع الصاحب تاج الدين على إنشائه سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م والذي ظل قائماً إلى زمن المقريزي[٢٦٤].

بالإضافة إلى ذلك يُنسب إلى الصاحب محي الدين تجديد الخطبة في جامع غين[٢٦٥] بالروضة. وكان معطلاً فأقام الخطبة به الصاحب محي الدين، وذلك لما عمر داره على خوخة الفقيه نصر[٢٦٦] سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م[٢٦٧].

هذا بالإضافة إلى أدوار أخرى غير مباشرة في عمارة المساجد وتجديدها، وذلك من خلال تكليف السلطان لهم بالقيام بمثل هذه الأعمال، والتي كانوا ينجزونها بكل الإخلاص والتفاني، وقد أفاض الكتاب والمؤرخون في ذكر ذلك كثيراً[٢٦٨].

المدرسة الصباحية البهائية[٢٦٩]:

تقع بزقاق القناديل[٢٧٠] من مدينة مصر، قرب الجامع العتيق، أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين بن حِنّا سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م[٢٧١]. وذلك قبل أن يلي الوزارة، مما يدل على كثرة ثروته واهتمامه بالعلم. ولما كمل بناؤها تولى ابنه الصاحب فخر الدين محمد التدريس بها، واستمر على ذلك إلى أن توفى سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٨٠م فوليها بعده الصاحب محي الدين أحمد بن بهاء الدين، واستمر بها إلى أن مات سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، فدرس فيها بعده الصاحب زين الدين بن فخر الدين بن بهاء الدين، واستمر على ذلك إلى أن توفى سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م وتوارثها أبناء حِنّا[٢٧٢]. بعد ذلك واحداً تلو الآخر، إلى أن كان آخرهم شمس الدين محمد الذي عاصر المقريزي. وبعد وفاته سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م وضع بعض نواب القضاة يده على ما بقي بها من وقف، وظلت هذه المدرسة معطلة لا يأويها أحد لخراب ما حولها، وكان يبيت بها شخص لكي لا يُسرق ما بها من أبواب ورخام. وكان لها خزانة كتب جليلة، فنقلها شمس الدين ابن حِنّا وصارت تحت يده إلى أن مات فتفرقت في أيدي الناس. وكان قد عزم على نقلها إلى شاطئ النيل، فمات قبل ذلك. ثم أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عمد الرخام التي كانت بهذه المدرسة، وكانت كثيرة العدد، جليلة القدر، وعمل بدلها دعائم تحمل السقوف، وفي سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م هدمت المدرسة[٢٧٣]. ويذكر أنها كانت ثرية جداً بالكتب، وذلك نظراً لقربها من سوق الكتب في نفس المنطقة[٢٧٤].

يؤكد فخامة وعظمة البناء الذي أعده الصاحب بهاء الدين، وصف ابن حبيب لها بأنها كانت "محكمة البنيان"[٢٧٥]، بل وزاد البعض وجعلها من أجل مدارس الدنيا،

وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها، ويتشاحنون في سكنى بيوتها[٢٧٦].

ومما قيل فيها:

مدرسة حلنا بها وطناً له فيما موقع الأوطان ممن تغربا
ذهبت إليها يا علي من العلا مذاهب أحيت لابن إدريس مذهبا
وشدت على تقوى من الله أسَّها وأنفقت مالاً في رضى الله طيبا
بهائية تنسى النظامية التي لها العيس كم شدت وكم حُلت الحُبا[٢٧٧].

الربـــط[٢٧٨]:

يُنسب إلى أبناء هذه الأسرة عدد من الربط، وأولها ذلك المنسوب إلى الصاحب فخر الدين بن بهاء الدين، ويُعرف "برباط الصاحب" وهو رباط مطل على بركة الحبش. يذكر أن فخر الدين هو الذي أنشأه، وبعد وفاته وقف عليه والده الصاحب بهاء الدين عقاراً بمدينة مصر، وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٨٠م. وظل هذا الرباط قائماً إلى منتصف القرن التاسع الهجري، ولكنه ليس فيه أحد[٢٧٩]. كما نُسب إلى الصاحب فخر الدين رباط آخر بالقرافة الكبرى، وذكر أنه كان حسناً وأنه رتب فيه جماعة من الفقراء[٢٨٠].

كما أنشأ الصاحب محي الدين بن بهاء الدين رباطاً عُرف باسم "رباط الصاحب محي الدين" ذكر أنه "رباط مبارك تردد إليه جماعة من الأخيار"[٢٨١] ووصف بأنه كان رباطاً حسناً[٢٨٢].

رباط الآثار[٢٨٣]:

يُعد رباط الآثار من أشهر الربط، ويُعرف أيضاً بالرباط الصاحبي التاجي[٢٨٤]، عمره الصاحب تاج الدين بن فخر الدين بن بهاء الدين بالقرب من بركة الحبش، مطل

على البستان المعروف بالمعشوق، خارج مدينة مصر[٢٨٥]، وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية[٢٨٦] على شاطئ النيل[٢٨٧]. ومات رحمه الله قبل تكملته، ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق، فإذا كملت عمارته يوقف عليه[٢٨٨]. وسمي رباط الآثار أو الآثار النبوية، لأن فيه بعض من آثار النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي قطعة من العنزة، وقطعة من القصعة، ومرود وملقط ومخصف[٢٨٩]. وذكر أن الصاحب تاج الدين اشتراها من بني إبراهيم أهل ينبع، والتي قيل أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد إلى آخر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [٢٩٠]. ولما علم الصاحب تاج الدين بأمرها، مازال يتلطف بهم إلى أن اشتراها منهم، وذلك بمبلغ ستين ألف درهم[٢٩١]. وبعد شرائها جعلها الصاحب تاج الدين في خزانة خاصة في هذا الرباط، وظلت موجودة فيه فترة طويلة من الزمن. حتى ذكر المقريزي أنها لازالت موجودة إلى زمانه، وكان الناس يتبركون بها ويعتقدون النفع بها، وأنه "كان لهذا الرباط آنذاك بهجة وللناس فيه اجتماعات"[٢٩٢].

وذكر الصفدي أنه زارها مرتين وكحل عينه برؤيتها وفيها قال:

أكرم بآثار النبي محمد ... من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فالحظي وتمتعي ... إن لم تريه فهذه آثاره[٢٩٣]

وفيها قال الشاعر:

يا عين إن بعد الحبيب وداره ... ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل ... إن لم تريه فهذه آثاره[٢٩٤]

ونظراً لمكانة هذه الآثار، وتقدير العامة والخاصة لها وللرباط[٢٩٥]، قيل عن هذا الرباط وما حوى أنه "من محاسنه – يعني تاج الدين – وأنه لو لم يكن من حُسن اعتقاده سوى هذا المكان فيها كفاية له"[٢٩٦].

وينسب إليه ابن حبيب رباطاً آخر بالقدس الشريف، وذلك دون تحديد لتاريخ بنائه أو حتى تفاصيل عنه[٢٩٧].

مكتب الأيتـــام:

ويُنسب للصاحب تاج الدين أيضاً أنه أنشأ مكتباً للصبيان الأيتام، يحفظون فيه القرآن، بناه بجوار تربته بالقرافة، ورتب فيه ما يحتاج إليه هؤلاء الصبيان، وشرط أن الأطفال المرتبين لقراءة القرآن به إذا مسحوا ألواحهم يصبوا الماء الذي غسلوها به من كتابة القرآن الكريم على قبره تبركاً بذلك[٢٩٨]. وذكر أن ذلك من محاسنه، بل هو أحسن حركة اعتمدها، وأن هذا يدل على حُسن عقيدته[٢٩٩]. وعليه فقد استحق وصف ابن حبيب له عندما قال: "وثابر على مادنيه من جوار الخبير اللطيف"[٣٠٠].

منشآت اجتماعية:

نسب ابن دقماق إلى الصاحب محي الدين "فندقاً وربعاً" وذكر أنها كانت في الأصل حماماً، فهدمها وبناها فندقاً وربعاً ووقفه على نسله وعقبه، فباعوه في المصادرة المشهورة التي وقعت لهم[٣٠١].

وأنشأ الصاحب تاج الدين سقاية عظيمة بسوق الأكفانيين، وجعل أعلاها أربع بيوت يرتفق بها، ويجاور ذلك مكان كبير برسم أزيار الماء العذب، فوجد الناس بذلك رفقاً كثيراً[٣٠٢].

الحمامـــات:

نسب الكتاب إلى هذه الأسرة عدداً من الحمامات، من ذلك ما أنشأه المولى الصاحب بهاء الدين بدرب البقالين[٣٠٣] بمصر، قريباً من داره[٣٠٤]. كما أنشأ الصاحب تاج الدين ابن حِنّا حماماً بالمعشوق[٣٠٥]. وآخر بقرافة مصر الكبرى، جوار الرباط

الذي أنشأه والده الصاحب "فخر الدين"[٣٠٦]. كما أنشأ الصاحب محي الدين "حماماً" بدرب البقالين، وهي وقف على بنيه[٣٠٧]. وتحدث ابن دقماق عن مناظر نُسبت لأبناء هذه الأسرة[٣٠٨]. هذا بالإضافة إلى البستان[٣٠٩]. وكذلك ثلاث قياسر متصل بعضها ببعض، وأوقف بعضها على البيمارستان[٣١٠].

هذا ولم تقتصر منشآت هذه الأسرة على حدود الديار المصرية، بل تعدتها إلى البلاد الشامية، إذ يُنسب للصاحب بهاء الدين تجديد قبر سيدنا "نوح عليه السلام"، والذي زاره الصاحب أثناء مروره إلى بلاد الشام، فوجد الضريح مقطوعاً قطعتين، وبينهما طريق يسلك فيه، فابتاع دارين حول المكان وهدمهما، وجعلهما طريقاً، وجمع القطعتين حتى لا تنتهك حرمة المرور بينها. ولما اجتمع بالسلطان عرفه ما وجد وما فعل. فأمر بعمل درابزين حول الضريح، فعمل بدمشق، وركب عليه، وأمر بعمارة المسجد المجاورة للضريح، وبنى له منارة، وطبقة يقيم بها من يأتي للزيارة[٣١١].

أعمال البـــر والخير:

وإلى جانب المنشآت الدينية والخدمية، أنفقت أسرة بهاء الدين أموالاً جزيلة في الأعمال الخيرية ومساعدة المحتاجين، ومن ذلك اهتمام الصاحب بهاء الدين بأسرى المسلمين، والإنفاق على إطلاق سراحهم، وحدث ذلك أثناء سفر الصاحب إلى الشام سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م. فيذكر أنه طلب من قاضي دمشق أن يسير إلى بلاد الفرنج ويشتري بما عنده من المال المرصد لشراء الأسرى. واشترى هو من ماله جماعة من الأسرى، بحيث لم يطلع عليه أحد من أصحابه. وكان ذلك بعد أن شمل بالنفقة كل من معه في سفره هذا فضلاً عن إنفاقه على الضعفاء والمحتاجين والفقراء. كما يذكر أيضاً أنه رتب البيمارستان، وزاد في الحوائج المرصدة برسم المرضى والتفرقة، كما أفرج عن الأوقاف، وتم تسليم كل وقف إلى مستحقيه، كما أمر بعمارة ما دثر من الأوقاف بالجامع وغيره من ربع الحاصل. ويذكر أنه فعل كل ذلك دون التعرض لأهل دمشق،

بل بالعكس أقبل عليهم، وعاملهم بالإحسان، حتى ترك دمشق وأهلها متوفرين على الأدعية له والشكر والثناء عليه[٣١٢].

ويُنسب إليه أيضاً في هذه السفرة توفير كفن لأحد الزهاد، حتى قيل عنه "إن الله إذا أحب عبداً صرف وجوه الناس إليه، ولا يخرج ماله إلا فيما يثيبه عليه"[٣١٣]. ومن هذا القبيل أيضاً ما نُسب إليه من دفن أحد الأشخاص في تربته الخاصة وحدث ذلك سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م[٣١٤].

هذا بالإضافة إلى ما لعبه من دور في التأثير على السلطان بيبرس، وإقناعه بمثل هذه الأعمال، من ذلك مثلاً إبطال السلطان لما كان مقرراً من قبل من الأموال والضرائب على الناس، وكذلك إطلاق أموال كانت مقررة للفقراء من قبل، لكن السلطان المظفر قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ/١٢٥٨-١٢٥٩م) كان قد قطعها. فلما ملك الظاهر بيبرس أطلقها. هذا بالإضافة إلى ما أجرى على أهل الحجازين، وأهل بدر وغيرهم، ما كان قطع في أيام الملوك السابقين، كل ذلك بسفارة الصاحب بهاء الدين بن حِنّا[٣١٥]، وفيه دليل واضح على حرص الصاحب بهاء الدين على فعل الخير ومساعدة غير القادرين.

ما قاله الشعراء في أسرة ابن حِنّا:

نظراً لما كان لأبناء هذه الأسرة من المكانة الرفيعة، وما بذلوا من جهد، وما أنفقوا من أموال، صاروا مقصداً للشعراء والأدباء، الذين أنشدوا فيهم الأشعار، ونظموا لهم المدائح، التي تناقلها الكُتاب.

ومن ذلك ما كتبه القاضي محي الدين عبد الظاهر في الصاحب بهاء الدين (مجزول الرمل):

زادك الله تعالى أيها العبد جلالاً
حيث قد صرت سنياً لِعُلى تتوالى
من يزر في العالم يوماً حقه أن يتغالى[٣١٦]

ومدحه سعد الفارقي[٣١٧] فقال (السريع):

يمم علياً فهو بحر الندى وناده في المضلع والمعضلِ
فرفده مُجْدٍ على مجدب ووفده مفض إلى مفضلِ
يسرع إن سيل نداه وهل أسرع من سيل أتى من عَلِ[٣١٨]

وقال أيضاً في الصاحب بهاء الدين:

وقائل قال لي نبه لنا عُمراً فقلت: إن علياً قد تنبه لي
مالي إذا كنت محتاجاً إلى عُمر من حاجة فلينم حسبي انتباه علي

وفي بهاء الدين أيضاً قال أبو الحسن الجزار (الكامل):

وغدا لأشياخ الرسالة مشبهاً إذا راح هو بوصفها موصوف
فأبو يزيد كل يوم مجده وهو السرى وفضله معروف[٣١٩]

وكتب الجزار يرثي الصاحب فخر الدين:

بكت الصحابة عند فقد محمدٍ أسفاً فكان أشدهم حُزنا علي
ولحسرة المتألمين حقيقة في الرزى غير تجمل المتجمل[٣٢٠]

ومدح السراج[٣٢١] الوراق الصاحب تاج الدين بقصيدة طويلة منها:

إن الجمال له بغير منازع والوجد لي فيه بغير قسيم
وكذا العُلا لمحمد بن محمد بـــن علي بن محمد بن سليم
نسب كممرد الكعوب فلا ترى إلا كريماً ينتمي لكريم[٣٢٢]

وقال الأديب ناصر الدين الكناني:

قل للوزير محمد بن محمد يا من هو الأرج الذكي لمن درج
أنت الذي دار السعادة داره طول الزمان وبابه باب الفرج[٣٢٣]

كانت هذه بعض المدائح التي قيلت في بعض أبناء هذه الأسرة. لكن إذا كان هناك الكثير ممن مدح، فإن الأمر لا يخلو ممن هجا، ومن هؤلاء "ابن الصاحب علم الدين"[٣٢٤] والذي قال يهجو الصاحب بهاء الدين[٣٢٥].

اقعد بها وتهنا لابد لك أن تتعنّي
تكتب على بن محمد من أين لك يا ابن حِنّا[٣٢٦]

وقال النجم ابن السحت كمال:

خربت ديارك يا ابن حنا وانقضا زمناً به أسرفت في الطغيان
ونقلت من دار النعيم إلى لظا بفضاضة ملأت قضاء النيران
وتركت رهطك في العذاب فلم يفد ما نلت من عز بذا الخُسران
كم ذا تزخرفت باطلاً لبطالة قام الدليل عليك بالبرهان[٣٢٧]

وبالنظر إلى هذين الشاعرين يتضح أن الشاعر الأول كان شخصية تتكلم بالفحش، وتتعاطى الحشيش وتمدحه وتمدح الميل إلى اللهو، فضلاً عن خلافات سابقة، وقعت بينه وبين الصاحب بهاء الدين، إذ يذكر أنه كانت بينهما مسائل وعداوة ظاهرة، تجعلنا نشك بكلامه ولا نعتمد عليه. هذا بالنسبة للشاعر الأول. أما الثاني فالواضح من الأبيات أنها أُنشدت بعد وفاة الصاحب بهاء الدين، واعتلاء برهان الدين السنجاري للوزارة، فلا يستبعد أن يكون أنشد هذه الأبيات تملقاً وتقرباً إلى الوزير الجديد. خاصةً وأنه لا يخفى ما كان بين الوزير الجديد والصاحب بهاء الدين – سابقاً – من عداوات ظاهرة، وتلك التي انعكست على أسرته بعد وفاته، وتحديداً في مصادرتهم والحوطة عليهم.

من خلال ما سبق يتضح أن الصاحب بهاء الدين بن حنا وأسرته، كانوا أصحاب اليد الطولي في سير الأحداث في حياة عميد الأسرة، ثم إن أبنائها ما لبثوا أن

أمدوا ذكر الأسرة، لسنوات عديدة من تاريخ مصر إبان الحكم المملوكي، حتى شهد لهم القاصي والداني، وأكد ذلك ما تركوه من سيرة حسنة، ومشاركة علمية وأدبية، وما خلفوه من آثار ملموسة كانت شاهداً لهم.

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

**ابن بهادر:** محمد بن محمد (ت٨٧٧هـ/١٤٧٢م).

فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط بدار الكتب المصرية، جزءان، رقم ٣٩٤٢ تاريخ.

ثانياً: قائمة المصادر:

**ابن الأثير:** أبي الحسن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

- الكامل في التاريخ، ج١٠، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣.

**ابن إياس:** محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م.

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ق١، ج١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

**ابن أيبك الدواداري:** أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م.

- كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية، ج٩، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م.

**ابن بطوطة:** محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت٧٧٩هـ/١٣٧٦م.

- تحفة النظار في غرائب الأسفار، المعروف بـ "رحلة ابن بطوطة"، لبنان، د.ت.

**ابن تغري بردي:** جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، ج٦، ٧، ٨، ٩، قدم له وعقل عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ١٧ جزء، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة، د.ت.

**ابن الجزري:** شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م).
- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المعروف بـ "تاريخ ابن الجزري" ٣ أجزاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

**ابن حبيب:** الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).
- درة الأسلاك في دولة الأتراك: جزءان، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤.

**ابن حجر العسقلاني:** شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، بيروت، ١٩٩٣م.
- أنباء الغمر بأبناء العمر، ٩ أجزاء، تحقيق: عبد الله بن أحمد بن المديحج العلوي، ج١، لبنان، ١٩٦٧، ج٢، لبنان، ١٩٦٨، الأجزاء ٣: ٩ لبنان، ١٩٨٦.
- رفع الأثر عن قضاة مصر، ثلاثة أقسام، تحقيق: حامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٦١.
- نزهة الألباب في الألقاب، بيروت، د.ت.
- ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، القاهرة، ١٩٩٢.

**ابن خلدون:** عبد الرحمن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، مقدمة ابن خلدون، ج٥، ضبط المتن والحواشي: خليل شجادة، مراجعة: سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.

**ابن خلكان:** شمس الدين أبو العباس أحمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، ج٣، ٧، بيروت، ١٩٧٠.

**ابن داود الصيرفي:** علي بن داود الجوهري (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

- أنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠.

**ابن دقماق:** صارم الدين إبراهيم بن محمد (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت، د. ت

**الذهبي:** الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهر والأعلام، ٥٣ جزء، الأجزاء، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٣، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

- الإعلام بوفيات الأعلام، مجلدان، تحقيق: مصطفى ابن علي عوض، ربيع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

- دول الإسلام: بيروت، ١٩٨٥.

**السبكي:** تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (ت٧٧١هـ/١٣٧٠م).

- طبقات الشافعية الكبرى، ١٠ أجزاء، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، القاهرة، ط١، د.ت.

**السخاوي:** شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م).

- الذيل التام على دول الإسلام، ٤ أجزاء، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

**السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).

- حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جزءان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط١، ١٩٦٨.

**ابن شاكر الكتبي:** محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م).

- فوات الوفيات والذيل عليها، ٥ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٤م.

**أبو شامة:** شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي، (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م).

- الذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

**ابن شاهين الظاهري:** زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م).

- نيل الأمل في ذيل الدول، ق١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

**ابن شداد:** عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد (ت٦٨٤/١٢٨٥م) .

- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

**الصفدي:** صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

- أعيان العصر وأعوان النصر، ٦ أجزاء، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، تقديم: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

الوافي بالوفيات، ٢٦ جزء، تحقيق: أحمد أرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

**ابن عبد الظاهر:** محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م).

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عمر عبد السلام الحويطر، الرياض، ط١، ١٩٧٦م.

**ابن العماد:** شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي، (ت١٠٨٩هـ/١٦٩٠م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، ج٥، ٧، ٨، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

**العيني:**

بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م).

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: ٤ أجزاء، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي" تحقيق: فهيم شلتوت، مراجعة، مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٧م.

**أبو الفدا:** عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

- المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، ج٣، ٤، القاهرة، ط١، د.ت.

- التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم عزت، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.

**ابن الفرات:** ناصر الدين محمد بن علي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م).

- تاريخ ابن الفرات، ٩ أجزاء، ج٧، تحقيق: قسطنطين رزيق، نجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٤٢.

**ابن قاضي شهبة:** أبي بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن تقي الدين (ت٨٥١هـ/١٤٤٨م).

- طبقات الشافعية، ٤ أجزاء، ج٢، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، الهند، ط١، ١٩٧٩.

**القلقشندي:** أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، ج٣، ٤، ١١، ١٤، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢.

**ابن قنفذ:** أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بـ "ابن قنفذ"، (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

- الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، ط٤، ١٩٨٣.

**ابن كثير:** الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٦هـ/١٣٧٣م).

- البداية والنهاية، ٢١ جزء، ج١٧، ١٨، تحقيق: عبد الله عبد المحسن، القاهرة، ١٩٩٨.

- طبقات الشافعية، جزءان، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

**ابن اللبودي:** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خليل (ت٨٩٦هـ/١٤٩١م).

- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر: تحقيق: مأمون الصاغرجي، محمد أديب الجارد، دمشق، ١٩٩٤.

**المقريزي:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م).

- السلوك لمعرفة دولة الملوك، ٨ أجزاء، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

- المقفى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ "الخطط المقريزية"، ٤ أجزاء، ج٣، ٤، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت.

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، دمشق، ١٩٩٥.

- تاريخ الأقباط المعروف بـ "القول الإبريزي"، تحقيق: عبد المجيد ديان، القاهرة، ١٨٩٨.

**النويري:** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ/١٣٣٢م).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٣ جزء، ج٢٩: ٣٢، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

**اليافعي:** أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان اليافعي، (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤ أجزاء، ج٤، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

**ياقوت الحموي:** شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

- معجم البلدان، ٧ أجزاء، ج١، ٢، ٤، دار صادر بيروت، ط٣، ٢٠٠٧.

**اليونيني:** قطب الدين موسى بن محمد (٧٢٦هـ/١٣٢٦م).

- ذيل مرآة الزمان، ٤ أجزاء، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢.

ثالثاً: المراجـــــع

- **أحمد تيمور باشا:**

الآثار النبوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥١م.

- **أحمد حسين:**

موسوعة تاريخ مصر، القاهرة، ط٢، د.ت.

- **أحمد عبد الرازق أحمد:**

البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، "دراسة عن الرشوة"، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٩.

- **أحمد مختار العبادي:**

في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥م.

- **إيناس حسني البهجي:**

دولة المماليك البداية والنهاية، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٥.

- **البيومي إسماعيل الشربيني:**

مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية، عصر سلاطين المماليك، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

- **السيد الباز العريني:**

المماليك، بيروت، ١٩٩٧.

- **السير وليم موير:**

تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين، سليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.

- **حامد زيان غانم:**

صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك، القاهرة، ١٩٧٨.

- **حسن الباشا:**

الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، ١٩٧٨.

- **حسن إبراهيم، علي إبراهيم حسن:**

النظم الإسلامية، القاهرة، ط٣، د.ت.

- **حسين مؤنس:**

ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣.

- **حمدي عبد المنعم محمد:**

تاريخ الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

- **حياة ناصر حجي:**

السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم السلاطين البحرية من سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢، الكويت، ط١، ١٩٩٧.

صور من الحضارة العربية الإسلامية من سلطنة المماليك: ط١، الكويت، ١٩٩٢.

- **الزركلي:**

الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠.

- **رزق الله منقريوس الصرفي:**

تاريخ دول الإسلام، ٣ أجزاء القاهرة، ١٩٠٨.

- **زين العابدين شمس الدين نجم:**

معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.

- **سعاد ماهر:**

مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٣ أجزاء، ج٣، أشرف على الإصدار، محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٩٧١.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور:**

العصر المملوكي في مصر والشام، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦.

- الأيوبيين والمماليك في مصر والشام: دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٩٦،

- **سعيد مغاوري:**

الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، ٣ مجلدات، مج٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠.

- **عبد اللطيف إبراهيم:**

المكتبة المملوكية، القاهرة، ١٩٦٢.

- **عبد الله الشرقاوي:**

تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق: رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.

- **عبد المنعم ماجد:**

نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩.

- **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك:**

مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨.

- **الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية:**
دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧.
- **قاسم عبده قاسم:**
في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط١، القاهرة، ٢٠٠١.
- **قتيبة الشهابي:**
معجم ألقاب أرباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الراشدي إلى بدايات القرن العشرين، دمشق، ١٩٩٥.
- **محمد جمال الدين سرور:**
الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨.
دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة،، ط٣، ١٩٩٣.
- **محمد سهيل طقوش:**
تاريخ المماليك في مصر والشام، ٦٤٨-٩٢٣هـ/١١٢٥-١٥١٧م، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- **محمد الششتاوي:**
متنزهات القاهرة في العصر المملوكي والعثماني، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.
- **محمد قنديل البقلي:**
مصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦.
- **محمود رزق سليم:**
عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ٤ مجلدات، مج١، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢.

رابعاً: الرسائل

- **عبد الخالق حسين محمد:** النظم القضائية بمصر عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨١م.

- **منال محمد السيد عبد المجيد:** الوزارة في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٢٠٠٧.
- **منى عبد الغني حسن:** القضاء ودوره في الحياة السياسية والاجتماعية في مصر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية، قسم التاريخ، ١٩٩٤.
- **يسري أحمد عبد الله:** الفقهاء والعامة في مصر والشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٦.

الحواشي السفلية

(١) محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢، ق٢، ص٣٥٧.

(٢) حِنَّا: بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة وهو الأشهر والأكثر ذكراً عند المؤرخين. انظر على سبيل المثال: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ جزء، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣٠، ص٦، الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد أرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ج٢٢، ص٧٤، ترجمة رقم (٤).

كما وردت عند البعض الآخر بفتح الحاء أمثال: ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغُرر، ج٨، الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: ولرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١، ص٧٠، السيوطي: حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جزءان، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٨٨، ج٢، ص٢١٦.

بل ربما ذكرها الكاتب الواحد بالفتح أحياناً والكسر أحياناً أخرى، مثل ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ج٧، ص٦٢٤، ج٨، ص٢٨، كما ذكره ابن كثير باسم "ابن الحِنَّا"، وكذلك "ابن الحِني" عنه انظر: طبقات الشافعية، جزءان، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ج١، ص٨٣٨، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ج١٨، ص٤٢٤.

وعن أصل التسمية قال أحد الكُتاب المحدثين "بنو حنا أسرة عريقة واسم جده حِنا بكسر الحاء= =المهملة وفتح النون المشددة على ما ضبطه المقريزي في خططه، وكأنه منقول من اسم الحناء التي يخضب بها، ثم قصرته العامة على عادتها في قصر كل ممدود، وقد يظن من لم يعرف ضبطه أنه بفتح الحاء، وأنهم من الأقباط الذين أسلموا وتولوا الوزارة أو المباشرة في مصر، مثل بني مكالس وغيرهم، انظر: أحمد تيمور باشا: الآثار النبوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥١، ص٢٧، حاشية رقم ١.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، باعتناء: أحمد حطيط، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٣٤. الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها ٥ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٤، ج٣، ص٧٦، رقم (٣٥٤)، اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان

في ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤ أجزاء، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٤، ص١٨٨.

(٤) السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي صاحب مصر والشام، وهو رابع ملوك الترك، أصله من صحراء القفجاق، أبيع مملوكاً وتنقلت به الأحوال حتى اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب، ظهرت نجابته حتى صار من جملة البحرية، ثم جلس على سرير الملك بعد مقتل المظفر قطز سنة ٦٥٨هـ، جاهد التتار وتحقق على يده الكثير من الانتصارات، فقضى حياته في العمل والجهاد. عنه انظر: أبو شامة: الذيل على الروضتين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٢١، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ط١، د.ت، ج٣، ص٢٠٧ : ٢٠٨، ج٤، ص١٠ : ١١، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم محمد العزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٩٩٥، ص٨١ : ٨٢، عبد الله الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق: رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٦، ص٩٨ : ١٠٠.

(٥) محمد بن بيبرس الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي بركة خان، وُلد سنة ثمان وخمسين وستمائة، سلطنة أبوه وهو ابن خمس سنين أو نحوها، وبويع بعد وفاة والده وهو ابن تسع عشرة سنة، وهو الخامس من ملوك الترك، كان شاباً مليحاً فيه عدل ولين، إلا أنه عجز عن ضبط الأمور، فخلع من السلطنة وعمل بذلك محضر. للمزيد انظر: النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٣٦: ٢٣٨، ج٣١، ص١٦، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٩٧، رقم (٦٩٩)، العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك، جزءان تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠، ج٢، ص١٨٥ : ١٨٦، ١٩٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ج٧، ص٢٢٣ : ٢٣٣.

(٦) المقريزي: الخطط المقريزية، ٤ أجزاء، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ج٤، ص٢٠٣، ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ج٨، ص١٥٠.

(٧) ديوان الجيوش: من الدواوين المهمة، أنشئ في عهد الفاطميين، وتركزت فيه كل شئون الجيش وأصناف الجند وأعدادهم وأعداد خيولهم، ولا يكون صاحبه إلا مسلماً، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة، وبين يديه حاجب، وإليه عرض الأجناد وخيولهم، وبين يدي صاحب هذا الديوان أيضاً نقباء يعرفون أحوال الأجناد، ومجلس صاحبه بالقلعة، ولابد أن يكون من المستوفين، ممن يضبط كليات المملكة وجزئياتها في الإقطاعات وغيرها، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ج٣، ص٤٣٥.

(٨) الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبو بكر، ملك الديار المصرية بعد وفاة والده، وهو أول من سكن قلعة الجبل بعد الفاطميين بالقاهرة، فتح العديد من الجهات، بنى المدرسة الكاملية بين القصرين، وهي المعروفة بدار الحديث، وتوفى بدمشق. عنه انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣، ص٣٩٤، ابن العميد: أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص١٠ : ٢٢.

(٩) نهاية الأرب، ج٢٩، ص٨٦.

(١٠) المقفى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ج٥، ص٧٠٦، برقم (٢٣٢٠).

(١١) الفائزي: شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفائزي، خدم الملك الفائز ابن الملك العادل، وكان نصرانياً فأسلم، ووزر للملك المعز أيبك، وتمكن منه بدرجة كبيرة، أحدث في وزارته ضرائب ومظالم كثيرة، فنقم عليه الناس. قُبض عليه بعد مقتل المعز، وقُتل في السجن سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، ذكر أنه كان رئيساً كريماً، خبيراً متصرفاً. وقد زوج ابنته بالصاحب فخر= =الدين بن بهاء الدين بن حِنّا فأولدها الصاحب تاج الدين محمد وأخاه زين الدين أحمد حفيدي الصاحب بهاء الدين بن حِنّا. للمزيد انظر التويري:

نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٩٤ : ٢٩٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٥٣ جزء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ج٤٨، ص٢٢، رقم ٢٣٢، المقريزي: تاريخ الأقباط، المعروف بالقول الإبريزي، تحقيق: عبد المجيد ديان، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٢٣، الزركلي: الأعلام، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ج٨، ص٧٢ : ٧٣.

(١٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٨ أجزاء، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج١، ص٤٩٦، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مج١، ص٢٤٤. وهي الرواية الأشهر بين المؤرخين، في حين يذكر "الذهبي" غير ذلك، حيث يشير إلى أن الشخص الذي طلب منه الفائزي التوسط هو "برهان الدين السنجاري". عنه انظر: تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص٢٢.

(١٣) انظر عبد المنعم ماجد: نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م، ص٢٧١، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢٧٢. وقد تبعه في هذا آخرون مثل محمد البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٣٥٩.

(١٤) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، ٥ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٤، ج٣، ص٧٦، رقم (٣٥٤)، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٢٢.

(١٥) ابن حبيب: درة الأسلاك في دولة الأتراك، جزءان، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤، ج١، ص٣٠٨، رقم (٢١٠).

(١٦) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٤٩.

(١٧) الزاوية الخشابية: بجامع مصر العتيق، وتعرف قديماً بزاوية الإمام الشافعي - رضي الله عنه- وهي مكان مبارك ولم يزل يدرس بها أعيان العلماء. ودرس بها الإمام الشافعي، وعرفت به، وكذلك الإمام الفقيه: بهاء الدين الجميزي، وبه اشتهرت، ودرس بها أيضاً الوزير الصاحب بهاء الدين، عنها انظر: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، قسمان، بيروت، د.ت، ق١، ص١٠٠.

(١٨) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٨، ص١٥٠.

(١٩) شجر الدر بنت عبد الله أم خليل التركية، حظية الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأم ولده خليل، أحبها السلطان واصطحبها حضراً وسفراً، ولما مات أخفت موته وتحملت أعباء الدولة إلى أن سلمتها لابنه، وبعد مقتله سلطنها الأمراء، ثم عزلت نفسها وتنازلت لزوجها عز الدين أيبك عن الأمر. ولكنها ما لبثت أن قتلته، ثم قُتلت بقتله، انظر النوري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٣٥: ٢٣٦، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص١٦٥، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم شلتوت، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٥، إيناس حسني البهجي: دولة المماليك البداية والنهاية، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٥، ص١٩ : ٢٧، ٨٧: ٩٢، ١١٢: ١١٦.

(٢٠) الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٣٢، المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٩٤.

(٢١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ج٦، ص٣٣٧. وعنه أيضاً انظر: الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٣٢.

(٢٢) الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٤٣، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص١٤٣، ابن بهادر: فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط بدار الكتب المصرية، جزءان، رقم (٣٨١٧٢ تاريخ)، ج١، ورقة ٨٤. كان شائعاً في العصر المملوكي أمر المصادرة وإيقاع الحوطة على رجال الدولة، وقد تعددت أسباب المصادرة، وكان منها التصفية السياسية، تلك التي تتم بعد عزل حاكم وتولية غيره. حيث كانت تتم المصادرة والعقوبة لرجال وأعوان السابق، للمزيد انظر: البيومي إسماعيل: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جزءان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ج١، ص٧٣، ٢٢٤، ٢٥٨.

(٢٣) الشيخ عز الدين أبو محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد السلمي الدمشقي الشافعي، تفقه وبرع في الفقه والعربية، وألقى التفسير بمصر، وألف كتباً عديدة، وتولى الكثير من المناصب، كان كثير الزهد والإيثار، لا يخشى صاحب سلطان أو ملك، خالفهم في الرأي، ولم يزل على معرفته ومكانته إلى أن مات

تاسع جمادي الأول سنة ٦٦٠هـ. عنه انظر النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٩١ : ١٩٣، ج٣٠، ص٤٠ : ٤٦، ابن حبيب: درة الأسلاك، مج١، ص١٨٣، رقم (١٠٩)، ابن قنفذ: الوفيات (معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين)، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، ط٤، ١٩٨٣، ص٣٢٧.

(٢٤) ابن بنت الأعز: تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف أبي القاسم العلاقي المصري الشافعي، الحاكم بالديار المصرية، قاضي وافر الجلالة والرئاسة، سديد الأحكام، حسن السياسة، جمع له قضاء الديار المصرية بكاملها، والخطابة والحسبة وغيرها من الوظائف، والتي وصلت إلى خمس عشرة وظيفة، وكانت مكانته عند الظاهر عالية، توفى في السابع والعشرين من رجب سنة ٦٦٥هـ. انظر: أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع "المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق: سيد عزت العطار، القاهرة، ط١، ١٩٤٧، ص٣٦٣، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، القاهرة، د.ت، ج٨، ص٣١٨ : ٣٢٣، رقم (١٢٢٦).

(٢٥)ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٤١٤، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠،ص٤٦.

(٢٦) زين الدين بن الزبير: يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير بن زيد بن مالك الأسدي الزبيري، من ولد عبد الله بن الزبير – كما يذكر البعض – وزير الملك المظفر قطز، ولي الوزارة بعد ابن بنت الأعز، وظل بها حتى عزله الظاهر بيبرس، فلزم داره إلى أن مات سنة ٦٨٨هـ. وكانت بينه وبين ابن حِنا عداوة ظاهرة، وكان عالماً جليلاً رئيساً. انظر النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١١٠، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٨٨، الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٢٠٩، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، مج١، ص٢٤٤ : ٢٤٥.

(٢٧) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٦، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٣، ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص٩٨، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج٢، ص٢١٧.

(٢٨) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٤١٤، الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٧٠.

(٢٩) الصفدي: الوافي، ج٢٦، ص٣٠١٥، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٧٦.

(٣٠) نهاية الأرب، ج٣٠، ص٦.

(٣١) الصفدي: الوافي، ج٢٦، ص٣٠١٥، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٧٧، رقم (٣٥٤).

(٣٢) للمزيد انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٠٦، ١٠٧، الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص١٧٢، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٢٤، المقريزي: السلوك، ج٢، ص١٠٥، العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣١٠ : ٣١١، ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص١٠٢، منال محمد السيد: الوزارة في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٢٠٠٧، ص١١٥.

(٣٣) الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص١٠٨.

(٣٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٥٦ : ٥٧، الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص١٧١، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٠٩.

(٣٥) ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٩٣ : ٤٩٤، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٦٩ : ٧٦، ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص١٣٥.

(٣٦) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٠٥.

(٣٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٢ : ٧٣.

(٣٨) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٤٢، منى عبد الغني حسن: القضاء ودوره في الحياة السياسية والاجتماعية في مصر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية، قسم التاريخ، ١٩٩٤، ص٢١٢: ٢١٣.

(٣٩) ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، ثلاث أقسام، تحقيق: حامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٦١، ق٢، ص٣٠ : ٣١.

(٤٠) ابن العجمي: عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن ظاهر بن محمد بن محمد بن الحسن بن علي أبو الحسن، كان مولده سنة ٦٠٥هـ، اشتغل بالفقه والحديث، وتولى تدريس بعض المدارس في بلاد الشام، كما تولى بعض المناصب بها، ثم اتجه إلى مصر سنة ٦٥٨هـ وتولى بعض المناصب بها. ثم خرج منها

بصحبة الصاحب إلى بلاد الشام وبها توفى سنة ٦٧٠هـ. عنه انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٤٣ : ٤٤، اليونيني: التكملة، ج٢، ص٤٧٩ : ٤٨٠.

(٤١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٤٤.

(٤٢) ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين الأربلي الشافعي، ولد سنة ٦٠٨هـ، بأربل وسمع بها، وكان فاضلاً بارعاً، دخل مصر وسكنها وتأهل بها، وناب بها في القضاء عن ابن السنجاري ثم قدم الشام سنة ٦٥٩هـ على القضاء منفرداً. ثم عزل وقدم مصر، وكانت وفاته سنة ٦٨١هـ ودفن بالصالحية. عنه انظر السبكي: طبقات الشافعية، ج٨، ص٣٣ : ٣٤، رقم (١٠٥٦)، ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٨٣٠ : ٨٣١، رقم (٩٢٠)، الكتبي: فوات الوفيات، ج١، ص١١٠ : ١١١، رقم (٤٥)، ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢١٢ : ٢١٤، رقم (٤٦٣).

(٤٣) ابن الصائغ: قاضي القضاة الإمام عز الدين أبو المعاطي محمد بن شرف الدين الأنصاري الشافعي الدمشقي، ولى قضاة القضاة مرتين بدمشق، وعزل به ابن خلكان، ثم أعيد ابن خلكان، واستمر عز الدين معزولاً إلى أن توفى ببستانه سنة ٦٨٣هـ ودفن بقيسون، وكان مشكور السيرة، عنه انظر ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٥٣ : ٢٥٥، رقم (٤٨٨)، العيني: عقد الجمان: عصر سلاطين المماليك، ج٢، ص٣٣٣ : ٣٣٤.

(٤٤) ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٩٥، طبقات الشافعية، ج١، ص٨٣٨ : ٨٣٩، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٠، ص١١٩ : ١٢٠.

(٤٥) تاج الدين أبو الفضل يحيى بن محمد بن أحمد بن حمزة بن علي بن هبة الله بن الحسن الثعلبي الدمشقي: توفى سنة ٦٧١هـ ولم يزل متعلقاً بخدمة قاضي القضاة ابن سنى الدولة، ولم يزل كذلك إلى أن توفى سنى الدولة، ثم ولي الحسبة بدمشق في عهد الظاهر، ثم عزل عنها، ثم ولي وكالة بيت المال آخر عمره وباشرها مدة يسيرة. عنه انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٦٨ : ٦٩.

(٤٦) للمزيد انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٢٩ : ١٣١، المقريزي: السلوك، ج٢، ص٩٥.

(٤٧) للمزيد انظر ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عمر عبد السلام الحويطر، الرياض، ط١، ١٩٧٦، ص١٧٤ : ١٧٥، ٣٦١، المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٦٠، ج٢، ص٦٣ : ٦٤.

(٤٨) عنه انظر: الخطط، ج٤، ص٢٠٤. وزاد المقريزي أنه "عاقب أرباب الأموال حتى مات كثير منهم تحت العقوبة" وهذه المعلومة لم ترد عند أحد من أصحاب المصادر المعاصرة أو القريبة من الفترة موضوع البحث غير المقريزي.

(٤٩) ابن الفقاعي: الشيخ أبو النصر أيوب بن عمر بن علي بن شداد الحمامي الدمشقي، روى عن الحافظ الدمياطي وابن الخبارز وغيرهما، توفى سنة ٦٦٦هـ. عنه انظر العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٦، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٢٢٧.

(٥٠) عنه انظر ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٩١، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٣.

(٥١) وكان بيبرس يرمي من وراء ذلك إلى تقوية عرشه، والقضاء على أطماع منافسيه من المماليك، وجعل حكمه شرعياً في البلاد، لذلك استقدم أحد أبناء البيت العباسي وبايعه سنة ٦٥٩هـ، وجعل القاهرة مقراً له، ولقبه بالمستنصر، ثم ما لبث أن أعد السلطان عدداً من الفرسان وجعلهم مع هذا الخليفة للخروج إلى العراق واستعادتها من التتار، وهناك لقي هذا الخليفة حتفه، فما كان من الظاهر إلا أن استقبل شخصاً آخر ينتمي للبيت العباسي وبايعه بالخلافة ولقبه بالحاكم. وجعل مقر إقامته بالقلعة بالقاهرة. للمزيد عن أسباب إحياء الخلافة العباسية انظر: حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ط٣، د.ت، ص٩٩ : ١٠١، حامد زيان غانم: صفحة من تاريخ الخلافة العباسية،القاهرة، ١٩٧٨، ص١٨ : ٢٦، أحمد حسين: موسوعة تاريخ مصر، القاهرة، ط٢، د.ت، ص٦٩٠، أحمد مختار العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٧٩ : ١٩٤.

(٥٢) للمزيد انظر أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص٣٢٥ : ٣٢٦، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٧٢ : ٧٣، ٩٤، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٢١٢ : ٢١٣، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٢٨، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩٤ : ٩٥، السلوك، ج١، ص٥٣١، حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص٩٩: ١٠١، السير وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين، القاهرة، ط١، ١٩٩٥، ص٤٨ : ٤٩.

(٥٣) الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص١١٥.

(٥٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص١٠٨.

(٥٥) للمزيد انظر: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٧ : ١٦٨.

(٥٦) عنه انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٣٠ : ٢٣٢.

(٥٧) للمزيد انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٢٤ : ٢٢٦.

(٥٨) يسري أحمد عبد الله: الفقهاء والعامة في مصر والشام في القرنين السادس والسابع الهجريين، "دراسة تاريخية مقارنة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٦، ص١٧٤.

(٥٩) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤، ابن تغري بردي: المنهل، ج٨، ص١٥٠.

(٦٠) ابن حبيب: درة الأسلاك، مج١، ص٣٠٨.

(٦١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤٣٩.

(٦٢) انظر على سبيل المثال: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٧، ص٦٢٤، والصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٦، ص٣٠١٥، وللمزيد عن الألقاب التي مُنحت له انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٢٧٠، ٢٧٤.

(٦٣) الأوحد: من الألقاب التي شاع استخدامها في العصر المملوكي وظهر تفاوت في استعماله وأحياناً يرد ضمن ألقاب السلاطين، وأحياناً أخرى ضمن ألقاب رجال الدولة، وأحياناً يرد منفرداً وأحياناً يُضاف إلى غيره كأوحد الأمناء. واللقب يشير إلى أن صاحبه في درجة رفيعة، عنه انظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٢١٨.

(١٤) الكبير: خلاف الصغير ويقصد به رفيع الرتبة، وأحياناً كان يأتي مقترناً "بالأمير"، وأحياناً يكون من ألقاب كبار رجال الدولة، وربما يأتي بالنسبة فيقال الكبيري وحكمها حكم اللقب المجرد، وقد عنى الكتاب المماليك بهذه الصفة كثيراً. عنه انظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٤٣٦.

(١٥) الصاحبي: أصله الصاحب وتشير العديد من المصادر إلى أن لقب الصاحب بدأ استعماله كنعت خاص حين أطلق على الوزير "إسماعيل بن عباد" وزير بني بوية بأصفهان، ثم ما لبث أن شاع استخدامه كنعت لوزراء العصرين الأيوبي والمملوكي. للمزيد انظر المقريزي: الخطط، ج٣، ص٣٦٢: ٣٦٣، ابن حجر العسقلاني: نزهة الألباب في الألقاب، ص١٧٨، سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، مج٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٥٠٧: ٥٠٨.

(١٦) السيد في اللغة المالك الزعيم، وقد أطلق كلقب على الأجلاء من الرجال، واصطلح في إطلاقه على أبناء علي بن أبي طالب، ثم أطلق على الوزراء وكبار رجال الدولة، وأحياناً يضاف إليه ضمير المتكلم "تا" وهنالك يستخدم مع الخلفاء أو الملوك. وفي العصر المملوكي شاع استخدامه بالنسبة فيقال "السيدي". انظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٣٤٥: ٣٤٩، زين العابدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ص٣٣٣.

(١٧) الورع: المراد من يتنزه عن الوقوع في الشبهات، ومعناه في اللغة التقى، وفي العصر المملوكي كانت تضاف إليه ياء النسبة فيقال "الورعي" واستعمل لرجال الحرب والإدارة، إذا اتصفوا بالتقوى والتنزه عن الوقوع في الشبهات، حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٥٣٩: ٥٤٠.

(١٨) الزاهد في اللغة خلاف الراغب، والمراد من أعرض عن الدنيا فلم يلتفت إليها، وهو من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وقد ورد في نقوش مختلفة من أنحاء العالم الإسلامي، كما استعملت أيضاً بالنسبة إليه "الزاهدي" للمبالغة. انظر: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٢٠٩: ٢١٠، زين العابدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ص٢٩٩.

(٦٩) سبقت الإشارة إلى لقب السيد، والذي ذكر أنه يأتي أحياناً بالإضافة إلى الياء، أو إلى لقب محدد كما هو في سيد الوزراء. انظر: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٣٤٥ : ٣٤٩، زين العابدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ص٣٣٣.

(٧٠) الكهف: الملجأ والأصل فيه البيت المنقور في الجبل، وقد أضيفت إليه ألفاظ لتكون ألقاب مركبة مثل "كهف الأسرة الزاهرة" أو "كهف العابدين" وغيرها وكلها من ألقاب كبار رجال الدولة. للمزيد انظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٤٤٠.

(٧١) ملجأ: لقب يرتبط بالتعاليم الإسلامية الأولى كما تبينها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٤٩٦.

(٧٢) المدبر: هو الذي ينظر في الأمر ويتبصر عاقبته. وقد استعمل مضافاً إلى النسبة فيقال "المدبري وذلك للوزراء ومن في معناهم. وأحياناً يضاف إليه بعض الألفاظ لتكون ألقاب مركبة مثل "مدبر الممالك" أو "مدبر الدولة"، أو "مدبر أمور السلطنة". وهو من ألقاب الوزراء وكتاب السر وغيرهم. عنها انظر: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٤٦٥: ٤٦٦، زين العابدين: معجم الألفاظ، ص٤٨٠.

(٧٣) سداد الثغور: أي الذي تسد الثغور به، وكان من ألقاب الوزراء في عصر المماليك، وربما يُطلق على العسكريين الذين كانوا يفخرون بحمايتهم للثغور، وهي البلاد الواقعة على الحدود بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدولة. وكانت دائماً مجال هجوم ودفاع. انظر حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٣٢٠، زين العابدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ص٣١٥.

(٧٤) صلاح الممالك: نُعت به يوسف بن أيوب حتى صار علماً عليه، وقد ورد في كثير من النقوش كلقب للسلاطين وأحياناً لولي العهد، ثم استخدم أحياناً لكبار رجال الدولة. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٣٧٩ : ٣٨٠.

(٧٥) القدوة: بمعنى الأسوة، وهو من ألقاب العلماء والصلحاء. وذكرت أحياناً القدوى بالنسبة، وأحياناً تضاف إليها بعض الألفاظ لتكوين ألقاب مركبة، مثل "قدوة العلماء" و "قدوة الأولياء"، "قدوة الملوك والسلاطين" وغيرها، وهو ما يشير إلى أن الملقب به يعتبر أسوة لأهل الطائفة المبينة في المضاف إليه. انظر الباشا: الألقاب، ص٤٣٠.

(٧٦) يمين أمير المؤمنين: يشير اللقب إلى أهمية الملقب به بالنسبة لأمير المؤمنين كأهمية اليد اليمنى للإنسان. للمزيد انظر: الباشا: الألقاب، ص٢١٤، ٥٤٣: ٥٤٤.

(٧٧) للمزيد عن الألقاب التي مُنحت له انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٢٧٠: ٢٧٤.

(٧٨) منال محمد السيد: الوزارة في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ص٩٧.
نقلاً عن: Mounira: Levizirat, p. 107.

(٧٩) ابن عبد الظاهر: محي الدين عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر، وُلد سنة ٦٢٠هـ، برع في العلم والفقه حتى التحق بديوان الإنشاء في عهد السلطان قطز، ثم تقرب من الظاهر بيبرس حتى أصبح كاتبه الخاص حتى وفاته. واستمر محي الدين على مكانته إلى أن توفى سنة ٦٩٢هـ. عنه انظر الصفدي: الوافي، ج٧، ص٢٥٨، مقدمة كتاب الروض الزاهر، بقلم المحقق: عبد العزيز الخويطر.

(٨٠) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تُعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. كانت قديماً من أمهات المدن الواسعة الرقعة طيبة البقعة كثيرة الخير، عنها انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٧ أجزاء، دار صادر بيروت، ط٣، ٢٠٠٧، ج٤، ص٤٢١ : ٤٢٢.

(٨١) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الحويطر، الرياض، ط١، ١٩٧١، ص٤٥٣.

(٨٢) محمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس، ص١١٦.

(٨٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص١٣٩.

(٨٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٣ : ٤٥٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤،
ص١٣٩: ١٤٠. والرسالة كاملة عند القلقشندي نفس المصدر، ص١٣٩: ١٦٥.

(٨٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص١٦٥.

(٨٦) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٥٠.

(٨٧) الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٧٨، وكان السلطان قد عرف ذلك عنهم عن طريق عيونه التي يبثها على عامة الناس وخاصتهم، ويطالعونه بالأخبار. فأطلع بعض عيونه على ذلك. الصفدي: الوافي، ج٢٦، ص٣٠١٥.

(٨٨) للمزيد انظر الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٦، ص٣٠١٥، ابن تغري بردي، ج٨، ص١٥٠، ج١٢، ص٢٧٨ : ٢٧٩، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٥٣، ٣٥٤.

(٨٩) الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدني، الشيخ المشهور، شيخ الملك الظاهر، نشأ في أرض الجزيرة وتنقلت به الأحوال، ويذكر أنه كان قد تنبأ بسلطنة الظاهر قبل توليه الأمر. لذا لما وصل الظاهر إلى الملك، قرب إليه الشيخ خضر، وصار يعتقد في بركته ويثق في قوله، ويصحبه في حله وترحاله. إلى أن وشي به الصاحب ونسب إليه بعض الفواحش التي أوجبت اعتقاله، ومات في الاعتقال سنة ٦٧٦هـ. عنه انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٥٨: ٦٠، ٢٧٢: ٢٧٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص٢٢٢، ٢٢٣، رقم (٢٨١)، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٧: ٢٩٨، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥، ص٢١٨، ٢٢٠، رقم (٩٩٠).

(٩٠) للمزيد انظر: الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٢٢٢: ٢٢٤، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٢٧: ١٢٨، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٠٤: ١١٠.

(٩١) ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٧٢.

(٩٢) يسري أحمد: الفقهاء والعامة، ص١٧٤.

(٩٣) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٨١٥.

(٩٤) برهان الدين السنجاري: خضر بن الحسن بن علي قاضي القضاة برهان الدين الزرزاري الشافعي، وُلد سنة ٦١٦هـ تفقه وبرع حتى ولي قضاء مصر في الدولة الصالحية، ثم عمل عليه وعُزل وحُبس وضُرب، ولم يبق بيده إلا تدريس المعزية، ثم ولي وزارة السعيد بركة ثم عُزل، كما ولي قضاء القضاة بالديار المصرية. وكانت وفاته سنة ٦٨٦هـ. عنه انظر اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٣١٩، ابن كثير، طبقات

الشافعية، ج١، ص٨١٨، رقم (٩٠٥)، السبكي: طبقات الشافعية، ج٨، ص١٤٣ : ١٤٤، رقم (١١٣٤)، ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، ق١، ص٢٢١، عبد الخالق حسين: النظم القضائية بمصر، ص٣٠١.

(٩٥) ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٥٤٤، ابن تغري بردي: المنهل، ج٥، ص٢٢٣.

(٩٦) صدر الدين بن موهوب بن عمر بن إبراهيم الجذري الشافعي، كان ينوب عن عز الدين بن عبد السلام بمصر، وولي القضاء بعده، وكان فاضلاً عالماً، وكان على قضاء جزيرة ابن عمر، ومنها هرب إلى مصر بأمواله في وزارة الصاحب بهاء الدين، فكانت بينهما مواقف عدة، توفى فجأة سنة ٦٦٥هـ. عنه انظر النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٩٠.

(٩٧) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٩٠، عبد الخالق حسين: النظم القضائية، ص٣٠٢.

(٩٨) منال محمد السيد: الوزارة في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ص٨٥.

(٩٩) البوصيري: محمد بن سعيد بن حماد بن عبد المحسن الصنهاجي البوصيري، كان مولده بدلاص من قرى مديرية بني سويف سنة ٦٠٨هـ، وبها نشأ، وبرع في النظم والشعر، وولي كتابة الدواوين، ومناصب إدارية أخرى، إلا أنه لم يرق فيها وعزف عنها لما رأى من خراب ذمم أصحابها، وسلب أموال الدولة، وهو من شعراء مصر المشهورين، ومن أشهر أشعاره "البردة" وكانت وفاته بالإسكندرية سنة ٦٩٥هـ، وإليه يُنسب مسجد الأباصيري. عنه انظر الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٣٦٢: ٣٦٩، رقم (٤٥٦)، ابن قنفذ: الوفيات، ص٣٣٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٥٣ :٧٥٤، سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٣، ص٩٢: ٩٤.

(١٠٠) الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٣٦٨: ٣٦٩.

(١٠١) ابن شاكر: فوات الوفيات، والذيل عليها، ج٣، ص٧٦، رقم (٣٥٤)، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٢٢، ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، ص٤٦٩، رقم (١٦٢٥).

(١٠٢) الصفدي: الوافي، ج٢٦، ص٣٠١٥.

(١٠٣) عنه انظر المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٣ : ٢٠٤، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي، مج١، ص٢٤٥.

(١٠٤) الكتبي: فوات الوفيات، ص٧٦، رقم (٣٥٤)، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٨، ص١٥٠.

(١٠٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٤١٤.

(١٠٦) الخطط، ج٤، ص٢٠٣: ٢٠٤.

(١٠٧) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢٤٩.

(١٠٨) تاريخ الملك الظاهر، ص٧٩ : ٨١.

(١٠٩) الصفدي: الوافي، ج٢٦، ص٣٠١٥، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٧٧، رقم (٣٥٤).

(١١٠) محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مج١، ص٢٤٥.

(١١١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٤١٤.

(١١٢) عنه انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٢٧٠ : ٢٨٤.

(١١٣) النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٣٩.

(١١٤) الدواداري: كنز الدرر، ج١٨، ص٢٢٥، المقريزي: المقفى، ج٥، ص٤٥٩، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج٢، ص٢٠٧ : ٢٠٨، ابن تغري بردي: النجوم، ص١٧، ٢٢٧، ٢٤٢، المنهل الصافي، ج٨، ص١٥١، الزركلي الأعلام، ج٤، ص٣٣٣.

(١١٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص٣٧٦، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٦، ص٣٠١٥، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٧٧، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٥٤٨.

(١١٦) أحفاد الصاحب بهاء الدين، وسيرد الحديث عنهم تفصيلاً.

(١١٧) الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٢٢٥، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٠٨، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٨، ص١٥١.

(١١٨) ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص٢٢٧.

(١١٩) العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج٢، ص٢٠٨.

وتجدر الإشارة إلى أن سلاطين المماليك قد طبقوا سياسة العقوبة الشاملة أو الجماعية، فعندما يغضب أحدهم على شخص غالباً ما يعاقبه هو وأهله وجميع أقاربه، حيث تشمل الجميع عقوبة المصادرة، أو حتى القتل، وربما كلاهما معاً. للمزيد انظر حياة ناصر حجي: السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم السلاطين المماليك البحرية، الكويت، ط١، ١٩٩٧ص٢٥: ٣٣. ويذكر أنه كان من سمات هذا العصر تعرض وزرائه للسجن والمصادرة، ومطالبتهم بالأموال الضخمة التي ربما فاقت قدراتهم، حتى اضطر بعضهم إلى بيع أثاثه وخيله، بل الاستدانة أحياناً. وربما وصل الأمر إلى فرار الشخص المصادر وبقائه مطارداً لعدم قدرته على السداد. للمزيد انظر: أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة، ص٧٣: ٧٤. أما بالنسبة لما وقع لبني حِنّا فيبدو أن الملك السعيد كان قد ضاق ذرعاً بقوة نفوذهم واتساع سلطانهم، وسيطرتهم على مقاليد الأمور لفترة ليست بالقليلة، فضلاً عن تضخم ثرواتهم، وربما يرجع الأمر إلى شخصية الملك السعيد نفسه، والتي كانت تتجه إلى التخلص من كبار أمراء أبيه وأصحاب النفوذ القدامى. وذلك بإيعاز ممن التف حوله من شخصيات غير مسئولة، زينت له ذلك.

(١٢٠) الخطط ج٤، ص٢٠٤.

(١٢١) السيوطي: حُسن المحاضرة، ج٢، ص٢٢١.

(١٢٢) المقريزي: السلوك، ج١، ص١١٣، ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص٢٢٧.

(١٢٣) وهو الأصح وذلك خلافاً لما ورد عند المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤، المقفي، ج١، ص٦٢٣، حيث ذكر أن اسم الابن الثاني للصاحب بهاء الدين هو "زين الدين" في حين أن "زين الدين" هذا حفيد للصاحب بهاء الدين وليس ابناً له. وسيأتي تفصيل ذلك. وهذا يطابق ما ورد عند ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٣٤. في حين أن محقق الكتاب نفسه يذكر في الهامش (حاشية ٣) أن الابن الثاني هو زين الدين، وسار على هذا النهج كُتاب آخرون أمثال: محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي، ج١، ص٢٤٥، ج٢، ص٣٦٠. ولكن بالبحث تبين أن "زين الدين" هو أخو تاج الدين وهما حفيدان للصاحب بهاء الدين. وهو ما أكده أيضاً ابن دقماق: الانتصار، ق٢،

ص٣٨، ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص٢٠٩. بل إن المقريزي نفسه ذكر هذا في موضع آخر من الخطط، ج٤، ص٨٧.

(١٢٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص١٣٢، رقم (١٧٢٧)، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٩١، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٦٧، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٠، ص٢٠٢، رقم (٢٢٦٥)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ص٦٥٧، رقم (٢٢٥٧).

(١٢٥) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩٠، المقفى، ج٦، ص٣٣٤، رقم (٢٨١٠).

(١٢٦) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ص٦٥٧.

(١٢٧) المقريزي: المقفى، ج٦، ص٣٣٤.

(١٢٨) ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٧٨، ٤٩١.

(١٢٩) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٣. سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن عمائر الأسرة.

(١٣٠) مدرسة بمصر عمرها الشيخ الإمام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الإمام أمين الدين الخليلي الداري، وكان يجاورها، ووقفها وقرر فيها مدرساً ومعيداً وإماماً وغيرهم مما يحتاج مثل هذه المدارس. للمزيد انظر ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٩٦.

(١٣١) المقريزي: المقفى، ج٦، ص٣٣٤.

(١٣٢) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٩٤، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٧٨، ٤٩١.

(١٣٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٩٣.

(١٣٤) الصفدي: الوافي، ج٤، ص١٣٢، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج٢، ص٦٧، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٠، ص٢٠٢.

(١٣٥) المقريزي: المقفى، ج٦، ص٣٣٥.

(١٣٦) ديوان الأحباس: يذكر أنه أنشئ في العصر الفاطمي وامتد العمل به وكان صاحبه يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس وغيرها من الأوقاف على

وجوه البر. وكان يجمع بين الأوقاف العامة والخاصة، ويحق لصاحبه الانفراد بإصدار المراسيم دون الرجوع إلى السلطان. وعليه فهي وظيفة جليلة القدر عالية المقدار. عنه انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٥، ج٤، ص٣٨، محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، ص١٤١، البيومي إسماعيل: النظم المالية في مصر زمن سلاطين المماليك، ص٢٧٧ : ٢٨٠.

(١٣٧) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩٠، المقفى، ج٦، ص٣٣٥.

(١٣٨) الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٢١٢، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٢٩. وطبيعة هذه الوظيفة تعني أن صاحبها يكون ملازماً للسلطان في أسفاره ورحلاته، وينفذ كل ما يوكل إليه من مهام وأوامر، ويقدم الرأي والمشورة إن طلب منه.

(١٣٩) تاريخ الملك الظاهر، ص٢٣٤.

(١٤٠) الكرك: اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيله وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط به أودية. وذكر أيضاً أنها قرية كبيرة قرب بعلبك. عنها انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٢ : ٤٥٣.

(١٤١) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها: عزبة الماء، كثيرة الفواكه، واسعة الخير، وهي بلد عظيم ذو سور عظيم. عنها انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٦٧: ٢٧٠.

(١٤٢) للمزيد انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٨٦: ٣٨٧، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٧٦: ٤٧٨، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص٣٠ : ٣١، منى عبد الغني حسن: القضاء ودوره في الحياة السياسية في العصر المملوكي، ص١٩٤، منال محمد السيد: الوزارة في مصر، ص١١٢.

(١٤٣) أقطاي بن عبد الله فارس الدين الصالحي النجمي النجمي التركي: المعروف بالمستعرب، وكان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، ثم ترقت به الحال إلى أن استولى على الديار المصرية، وتقدم على البحرية الذين أهلكوا الناس، وكانت خزائن مصر بيده، وزاد نفوذه في عهد المعز أيبك حتى أصبح يضيق على المعز، إلى أن كان مقتله سنة

٦٥٢هـ. عنه انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١١٢ : ١١٤، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص٨٥: ٨٧، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص٥٠٢: ٥٠٤، رقم (٥٠٥).

(١٤٤) أيبك بن عبد الله التركماني السلطان المعز أيبك التركماني، وكان من أكبر مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب وأقربهم إليه. وما لبث أن تسلطن بعد زواجه من شجر الدر أرملة الصالح، ويعد أول سلاطين المماليك، والذي ما ليث أن قُتل على يد شجر الدر سنة ٦٥٥هـ. للمزيد انظر النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٧٠ : ٢٩٠، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص١٩٣: ١٩٥، ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص٦٠ : ٦١، السيد الباز العريني: المماليك، بيروت، ١٩٦٧، ص٣٤: ٥٠.

(١٤٥) حماة: مدينة كبيرة كثيرة الخيرات واسعة الرقعة، حافلة الأسواق، يحيط بها سور محكم، بينها وبين حمص مسيرة يوم، وبينها وبين حلب أربعة أيام، ويمر نهر العاص بالقرب منها ويسقي مزارعها. عنها انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٠ : ٣٠١.

(١٤٦) العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص٧٩ : ٨٠.

(١٤٧) السلوك، ج١، ص٤٨١.

(١٤٨) وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن عمائر الأسرة.

(١٤٩) العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج٢، ص٦٧.

(١٥٠) القرافة: تربة عظيمة ممتدة من سطح المقطم، وموقعها بين المقطم والفسطاط، وبعض القاهرة، تمتد من قلعة الجبل ثم تتجه جنوباً إلى بركة الحبش، وقد جعلت مقبرة للمسلمين منذ عهد عمرو بن العاص. عنها بالتفصيل انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٧٨: ٣٧٩.

(١٥١) النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١١٠، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص١٣٢، ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٤٩١، المقريزي: المقفى، ج٦، ص٣٣٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٠، ص٢٠٩.

(١٥٢) الصفدي: الوافي، ج٤، ص١٣٢، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩٠: ٩١.

(١٥٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٣٤، وسيأتي الحديث عن تاج الدين بالتفصيل.

(١٥٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٨٤، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج٢، ص١٢٦، ابن دقماق: الانتصار، ق٢٣، ص٣٨، ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص٢٠٩.

(١٥٥) جعلها النويري سنة ست وثلاثين وستمائة، نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٣٧.

(١٥٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص٨٤.

(١٥٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٨٤، العيني: عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ج٢، ص١٢٦.

(١٥٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٠٩.

(١٥٩) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٨٤ : ٨٥، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤.

(١٦٠) تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص٨٤، وعنه أيضاً انظر النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٣٧، وإذا كان محي الدين هذا منقطعاً عن المناصب، ولم يلي منصب الوزارة، أو حتى أي منصب آخر، فلماذا إذن يُلقب بالصاحب؟! يرجح أن هذا اللقب كان يُمنح لكل أبناء الوزير سواء منهم من وزر أو غيره.

(١٦١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص٨٤، ويجعلها ابن شداد في التاسع من شهر شعبان من نفس السنة، تاريخ الملك الظاهر، ص٨٤.

بينما يجعلها ابن تغري بردي في ليلة الثامن عشر من نفس الشهر والسنة، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٠٩. أما النويري فيجعلها في التاسع والعشرين من شعبان من نفس السنة، نهاية الأرب، ج ٣٠، ص١٣٧.

(١٦٢) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ج١، ص٢٤٥.

(١٦٣) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٦، رقم (٤٧٨).

(١٦٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٠٥، المقريزي: المقفى، ج١، ص٦٢٣، رقم (٦٠٧)، ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص١٦٩. لم يحدد الكتاب بالضبط سنة ميلاده، وعندما عرض لها المقريزي قال: "ولد يوم (.....) وستمائة" انظر المقفى، ج١، ص٦٢٣، رقم (٦٠٧).

(١٦٥) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ص٢٧٠.

(١٦٦) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤، المقفى، ج١، ص٦٢٣، ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص١٦٩.

(١٦٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٦٩: ١٧٠، الصفدي: الوافي، ج١، ص٢١٢.

(١٦٨) تاريخ الملك الظاهر، ص٢٣٤.

(١٦٩) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٣٤.

(١٧٠) للمزيد انظر الرسالة التي بعث بها ابن عبد الظاهر إلى الصاحب بهاء الدين بن حِنّا بعد فتح الظاهر لقيسارية، القلقشندي: صبح الأعشى، مج١٤، ص١٤٧.

(١٧١) للمزيد انظر النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص١٧٥، ١٨٠.

(١٧٢) المقريزي: المقفى، ج١، ص٦٢٣، رقم (٦٠٧). ويجعلها ابن تغري بردي في ثامن صفر من نفس العام، النجوم، ج٨، ص١٦٩.

(١٧٣) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩، رقم (٥٠١)، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٣، ص٧٨.

(١٧٤) الصفدي: أعيان العصر، ج٥، ص١١٢، رقم (١٧٣٠)، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٧٤، رقم (١٤٨)، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥٥، رقم (٤١٦)، ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ٤ أجزاء، بيروت، ١٩٩٣، ج٤، ص٢٠١، رقم (٥٤٨)، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١١، ص٥٢، رقم (٢٣٧٢)، الدليل الشافي، ص٦٩١، رقم (٢٣٦٣).

(١٧٥) الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص١٥٢، المقريزي: السلوك، ج٢، ص٤١٩، رقم (٢٣٧٢)، ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ص٦٩١، رقم (٢٣٦٣).

(١٧٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٣، ص٧٨، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٦، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠١. هذا في حين يجعلها النويري في التاسع من شعبان من نفس السنة، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٩٩، المقريزي: السلوك، ج٢، ص٤١٩.

(١٧٧) الصفدي: الوافي بالوافيات، ج١، ص٧٤، رقم (١٤٨)، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٦.

(١٧٨) عنه انظر: ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩، الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص١٥٢، الصفدي: أعوان العصر، ج٥، ص١١٢، رقم (١٧٣٠)، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٨، ص٢٨.

(١٧٩) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٢.

(١٨٠) الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٤٥٦، رقم (٤١٦)، الصفدي: الوافي، ج١، ص١٧٥، رقم (١٤٨)، أعوان العصر، ج٥، ص١١٤، رقم (١٧٣٠).

(١٨١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠١، رقم (٥٤٨)، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ١١، ص٥٤، رقم (٢٣٧٢)، الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٢. ومن الغزوات التي حضرها غزوة حمص سنة ٦٨٠هـ ولشجاعته امتدحه أحد الشعراء بقصيدة مطلعها:

تذكرت سعدي أم أتاك خيالها أم الريح هبت إليك شمالها

كما ذكر أيضاً أنه كان يتصيد بالجوارح والكلاب.

(١٨٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٣٤.

(١٨٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٠٦: ١٠٧.

(١٨٤) ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص١٣٥.

(١٨٥) درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩، رقم (٥٠١).

(١٨٦) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٢.

(١٨٧) ورد عند الدواداري أنه ولي الوزارة قبل ذلك في سنة ٦٨٣هـ، انظر: كنز الدرر، ج٨، ص٢٦٨. وهذه الإشارة لم ترد عند غيره.

(١٨٨) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه، ج١، ص٢٠٧.

(١٨٩) صبح الأعشى، ج١١، ص٢٧٤: ٢٧٨ وجعلها في شهر ربيع الأول وليس في شهر صفر.

(١٩٠) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٢٧٥.

(١٩١) للمزيد انظر، النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص١٧٥، المقريزي: السلوك، ج٢، ص٢٥٥.

(١٩٢) للمزيد انظر: المقريزي: المقفى الكبير، ج٧، ص١١٢.

(١٩٣) فخر الدين بن الخليلي: عمر بن عبد العزيز بن الحسن: كان من الفضلاء الوزراء النبلاء، أحسن إلى الناس في وزارته، لاذ ببني حِنّا وارتبط بهم ولي الوزارة أكثر من مرة. كانت وفاته سنة ٧١١هـ ومن طريف ما يذكر عنه مع تاج الدين أنه لما ولي الوزارة بعد الصاحب تاج الدين استحيا منه، فكان أول ما فعله أن نزل من القلعة إلى دار تاج الدين وجلس بين يديه وقال أنا غلامكم ومملوككم. فأراد الصاحب جبره، فأخذ توقعياً من بعض غلمانه يحتاج إلى خط الوزير، فقدمه له وقال مولانا يكتب على هذا فقبله ووضعه على رأسه، وعلم عليه، وكان هذا من الصاحب تاج الدين إجازة بالوزارة لابن الخليلي. للمزيد انظر الصفدي: أعيان العصر، ج٣، ص٦٣٥، ٦٣٧، رقم (١٢٧٤)، الكتبي: فوت الوفيات، ج٣، ص٢٥٦، المقريزي: الخطط، ج١٤، ص٢٩٦.

(١٩٤) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٢٥٠.

(١٩٥) الصفدي: الوافي، ج١، ص١٧٨، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٧، المقفى، ج٧، ص١١٢. حتى ابن حبيب نفسه قال: "ولي الوزارة غير مرة بالديار المصرية، مجتهداً في إسداء الإحسان، وإبداء المبرة"، درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩.

(١٩٦) الصفدي: أعوان العصر، ج٥، ص١١٢.

(١٩٧) عنه انظر الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص١٥٢، الصفدي: الوافي، ج١، ص١٧٤، أعيان العصر، ج٥، ص١١٢، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٦.

(١٩٨) للمزيد عنها انظر الصفدي: أعيان العصر، ج٥، ص١١٧: ١١٨، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥٨: ٢٥٩، المقريزي: المقفى، ج٧، ص١١٤.

(١٩٩) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٨، ص٢٨.

(٢٠٠) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠٢.

(٢٠١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠٢.

(٢٠٢) درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩.

(٢٠٣) الصفدي: الوافي، ج١، ص١٧٧، أعيان العصر، ج٥، ص٧٨، وللمزيد انظر: الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥٧: ٢٥٩، المقريزي: المقفى، ج٧، ص١١٥ : ١١٧، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١١، ص٥٣ : ٥٧، الدليل الشافي، ص٦٩١، رقم (٢٣٦٣)، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٠٢.

(٢٠٤) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩.

(٢٠٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٤١٩، ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص١٨٠، الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٢، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، مج١، ص٢٥٠: ٢٥١. في حين يجعلها النويري سنة ٧٠٦هـ، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٩٩.

(٢٠٦) النويري: نهاية الأرب، ج٣٢، ص٩٩.

(٢٠٧) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٢٧١.

(٢٠٨) المقريزي: المقفى، ج٥، ص٢٣٤، رقم (١٧٨٧).

(٢٠٩) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤.

(٢١٠) المقريزي: المقفى، ج٥، ص٢٣٤، رقم (١٧٨٧).

(٢١١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٣٤، الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٢١٢.

(٢١٢) تاريخ الملك الظاهر، ص٢٣٤، (أخزم) من الخزم، وهو إشارة إلى المثل المشهور "شنشة أعرفها من أخزم"، نفس المصدر، حاشية (٤).

(٢١٣) النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص١٧٥، ١٨٠.

(٢١٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٢٥٥: ٢٥٦.

(٢١٥) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٢٧١، المقريزي: المقفى، ج٥، ص٢٣٤.

(٢١٦) عنه انظر ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ١٣٤، الصفدي: الوافي، ج١، ص٢١٢.

(٢١٧) الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص١٥٢.

(٢١٨) الصفدي: أعيان العصر، ج١، ص٣٨٠، رقم (١٩٤).

(٢١٩) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤.

(٢٢٠) الصفدي: أعيان العصر، ج١، ص٣٨١.

(٢٢١) الصفدي: أعيان العصر، ج١، ص٣٨١.

(٢٢٢) السخاوي: وجيز الكلام، ص١٠٢، رقم (١٩٣).

(٢٢٣) انمقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤.

(٢٢٤) السخاوي: وجيز الكلام، ص١٠٢.

(٢٢٥) المقريزي: درر العقود الفريدة، ج١، ص١٨٠، رقم (١١٥)، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص١٢٩، رقم (٢٨٢)، الدليل الشافي، ص٨٠، رقم (٢٨٠). وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد بالاسم خلط عند ابن تغري بردي، إذ يذكره "أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد" وهو غير صحيح لأنه يجعل زين الدين جده الثاني والأرجح أنه الجد الأول كما ثبت عند المقريزي وكذلك عند السخاوي: وجيز الكلام، ص٢٧٧، رقم (٥٩٥).

(٢٢٦) السخاوي: وجيز الكلام، ص٢٧٧، رقم (٥٩٥).

(٢٢٧) المقريزي: درر العقود، ج١، ص١٨٠، رقم ١١٥. وعنه أيضاً انظر ابن شاهين: نيل الأمل في ذيل الدول، ق٢، ص٢٣٨.

(٢٢٨) ابن تغري بردي: المنهل، ج٢، ص١٢٩: ١٣٠، الدليل الشافي، ص٨٠.

(٢٢٩) المقريزي: درر العقود، ج١، ص١٨٠.

(٢٣٠) السخاوي: وجيز الكلام، ص٢٧٧.

(٢٣١) للمزيد انظر السخاوي: وجيز الكلام، ص٢٧٧: ٢٧٨.

(٢٣٢) عنه انظر ابن شاهين: نيل الأمل، ق٢، ص١٩٧.

(٢٣٣) انظر المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٩٢، "دور العقود الفريدة، ج١، ص٢٣٩، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٢، ص١٣٠.

(٢٣٤) السخاوي: وجيز الكلام، ص٢٧٧، رقم (٥٩٥).

(٢٣٥) المقريزي: درر العقود الفريدة، ج٣، ص٢٠٥، رقم (١١١١)، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٩، ص٢٨٨، رقم (٢٠٥٥)، الدليل الشافي، ص٥٩٦، رقم (٢٠٤٧).

(٢٣٦) المقريزي: درر العقود الفريدة، ج٣، ص٢٠٥، ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢١١، رقم (٣٦١)، السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٨٨، رقم (١٧٩).

(٢٣٧) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٩، ص٢٨٨، الدليل الشافي، ص٥٩٦.

(٢٣٨) ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص٢١١. ويذكر أنه أقام بالشام مدة وبعدها قدم القاهرة واستقر بها ذُكر.

(٢٣٩) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤.

(٢٤٠) ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص٢١٢.

(٢٤١) درر العقود الفريدة، ج٣، ص٢٠٥. وينسب السخاوي إليه أنه "لم يكن ذا تصون ينسب لتعاطي المنكر"، انظر الضوء اللامع، ج٧، ص٨٨: ٨٩، وهذا يتعارض مع ما ذكر عنه من أنه كان صحيح الذهن، فضلاً عن مصاحبة المقريزي له لسنين.

(٢٤٢) للمزيد انظر: درر العقود، ج٣، ص ص٢٠٥: ٢٠٦.

(٢٤٣) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤، درر العقود، ج٣، ص٢٠٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٩، ص٢٨٨.

(٢٤٤) ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص٢١٢.

(٢٤٥) ابن حجر، ص٢١٢.

(٢٤٦) منال محمد السيد: الوزارة في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ص١٦٦.

(٢٤٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٦: ١٧٨، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٥٠.

(٢٤٨) عنه انظر النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٥٠: ١٥١، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٦٤.

(٢٤٩) تاريخ الملك الظاهر، ص١٧٨.

(٢٥٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٧٨، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩٠.

(٢٥١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٤، ويذكر أن الوزير الفائزي كان موضع ثقة أصحاب الأموال، ولعلهم كانوا يودعون أموالهم عنده.

(٢٥٢) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٧٨، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩٠.

(٢٥٣) سراج الدين عمر بن محمد الوراق المصري، أديب مصر، كان مكثراً حسن التصرف، وكانت وفاته سنة ٦٩٥هـ. عنه انظر، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٥٣.

(٢٥٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٧٩.

(٢٥٥) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩١.

(٢٥٦) لم تحدد المصادر السنة التي أقيم فيها هذا المسجد، بل كل ما ذكر أنه كان بعد وفاة الصاحب فخر الدين أي بعد سنة ٦٦٨هـ.

(٢٥٧) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١١٩.

(٢٥٨) الخطط، ج٤، ص٨٩.

(٢٥٩) عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي الفاضل محي الدين أبو علي بن القاضي الأشرف اللخمي العسقلاني البيساني الشافعي. وُلد بعسقلان، وتعلم وبرع، ثم قدم القاهرة وخدم صاحب ديوان الإنشاء - زمن الفاطميين - وعنه أخذ صناعة الإنشاء، ثم ولي الخدمة بديوان الجيش الفاطمي ثم ديوان الإنشاء. وولي الكتابة لأسد الدين شيركوه، إلا أن الملك صلاح الدين أمنه واستوزره وفوض إليه الأمر، ومازال على ذلك إلى أن توفى سنة ٥٩٦هـ، عنه المقريزي: الخطط، ج٤، ص١٩٧ : ١٩٩.

(٢٦٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١١٩، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٨٩، محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص٣٥.

(٢٦١) الانتصار، ق١، ص٤٨.

(٢٦٢) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٩٠.

(٢٦٣) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص ص٨٨-٨٩.

(٢٦٤) ذكره المقريزي باسم جامع اللبان. للمزيد انظر الخطط، ج٤، ص٩٧: ٩٨.

(٢٦٥) القائد غين: كان قائد القواد في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي، وكان الحاكم قد غضب عليه، فقطع يديه ولسانه، ثم أرسل إليه طبيب يعالجه، وأمر أرباب الدولة أن يعودوه، ثم قتله سنة ٤٠٥هـ. ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١١٥.

(٢٦٦) خوخة الفقيه نصر شارعة على شاطئ بحر النيل فيما بين خوخة الضفيدعة وباب دار النحاس، سُميت بالفقيه نصر، لأن الداخل منها يجد أمامه مسجد الفقيه نصر، وعلى يسرته هذه الخوخة. ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٣١.

(٢٦٧) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١١٥، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٨٧.

(٢٦٨) للمزيد انظر: الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص١٣٢، ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٧٠، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩١: ٩٢، السلوك، ج٢، ص٤١: ٤٢.

(٢٦٩) أقبل سلاطين المماليك على بناء المدارس إقبالاً شديداً حتى أصبح الأمر كأنه مظهراً من مظاهر الملك، وشارك سلاطين المماليك في ذلك أزواجهم وكبار رجال دولتهم، بل ربما العلماء وأهل الخير، فزاد عددها حتى ملأت الأخطاط، وأصبح لا يحيط أحد بحصرها كما وصفها ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، بيروت، د. ت، ص٣٣. وكان دافع بناء المدارس البر والصلاح والتقوى، بالإضافة إلى المباهاة والتفاخر. وربما الخوف من المصادرة، وكان للمدارس دور كبير آنذاك، ولا تقتصر على العلم فقط. عنها انظر، ليلى عبد الجواد: مظاهر الحضارة في العصر المملوكي، ص٦٢٠: ٦٢٢، منال محمد السيد: الوزارة في مصر، ص١٦٠: ١٦١.

(٢٧٠) زقاق القناديل من أعمر أخطاط مصر، وقيل لـه كـذلك لأنـه كـان يسـكنه الأشـراف، وكانت أبواب الدور يُعلق على كل واحد منها قنديل. وذكر أنه كان بـه مائـة قنـديل توقـد كـل ليلة على أبواب الأكابر. عنه انظر المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٣.

(٢٧١) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٩٥، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤: ٢٠٥.

(٢٧٢) ابن دقمـاق: الانتصـار، ق١، ص٩٥، القلقشـندي: صـبح الأعشـى، ج٣، ص٣٤٧، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٣.

(٢٧٣) للمزيد انظر المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤: ٢٠٥.

(٢٧٤) عبد اللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢٢.

(٢٧٥) درة الأسلاك، ج١، ص٣٠٨.

(٢٧٦) للمزيد انظـر المقريـزي: الخطـط، ج٤، ص٢٠٥، عبـد اللطيـف إبـراهيم: المكتبـة المملوكية، ص٢٢.

(٢٧٧) للمزيد انظر ابن حبيب: درة الأسلاك، ج١، ص٣٠٨.

(٢٧٨) الربط جمع رباط وهو دار يسـكنها أهـل طريـق الله، وذكـر أن الربـاط مـن الخيـل الخمس فما فوقها، والرباط والمرابطة: ملازمة الثغـر، وربمـا سـميت الخيـل نفسـها رباطـاً. والرباط المواظبة على الأمر، قيل أن أصل الرباط ما تـربط فيـه الخيـول، ثـم قيـل لكـل ثغـر يدافع أهله عمن وراءهم رباط، فالمجاهد والمـرابط يـدافع عمـن وراءه، والمقـيم فـي الربـاط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن الـبلاد والعبـاد. عنـه انظـر المقريـزي: الخطـط، ج٤، ص٢٩٢.

(٢٧٩) عنه انظر المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٣.

(٢٨٠) للمزيد انظر المقريزي: الخطط، ج٤، ص٩٠.

(٢٨١) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠١.

(٢٨٢) الذهبي: تـاريخ الإسـلام، ج٥٠، ص٨٤، العينـي: عقـد الجمـان، عصـر سـلاطين المماليك، ج٢، ص١٢٦.

(٢٨٣) وهو المعروف الآن بمسـجد أثـر النبـي، أحمـد تيمـور باشـا: الآثـار النبويـة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥١، ص٢٨.

(٢٨٤) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠٢.

(٢٨٥) المقريزي: المقفى، ج٧، ص١١٣. وبالرغم من تأكيد عدد كبير من الكتاب على أن هذا الرباط وما فيه من آثار يُنسب إلى الصاحب تاج الدين، فإن القلقشندي ينسب هذا الرباط للصاحب بهاء الدين بن حِنّا ولم يقل بهذا غيره، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٤٧.

(٢٨٦) الصفدي: الوافي، ج١، ص١٧٤، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٨، ص٢٨.

(٢٨٧) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١١، ص٥٣.

(٢٨٨) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٥.

(٢٨٩) عنها انظر: ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠٢، ابن حجر الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٢٠، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج٢، ص٢٧٣، أحمد تيمور: الآثار النبوية، ص٢٨: ٢٩. سعاد ماهر: مساجد مصر، ج١، ص٤١٥. ويذكر المقريزي أن هذه الآثار عبارة عن قطعة من خشب وحديد. الخطط، ج٤، ص٢٩٥.

(٢٩٠) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠٢، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٥.

(٢٩١) عنها انظر الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥٥، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٩٥، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٢٠، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج٢، ص٢٧٣، ابن إياس: بدائع الزهور، ق١، ج١، ص٣٨٥.

(٢٩٢) الخطط: ج٤، ص٢٩٥.

(٢٩٣) للمزيد انظر: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٧٤، وأعيان العصر، ج١، ص٤٤٣، ج٥، ص١١٣.

(٢٩٤) السيوطي: حُسن المحاضرة، ج٢، ص٢٧٣.

(٢٩٥) حيث أصبح مزاراً يتردد عليه الجميع، حتى أن الرحالة الذين أتوا إلى مصر، حرصوا على زيارته. عنه انظر حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، ص٤٣.

(٢٩٦) الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص١٥٢.

وعن مصير هذه الآثار فيما بعد فيذكر أنه لما حكم الأشرف شعبان أوقف على هذا المكان بلدة بأسفل الأرض، وقرر به درساً للفقهاء الشافعية، ومدرساً. للمزيد انظر ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠٢: ١٠٣، سعاد ماهر: مساجد مصر، ج١، ص٤١٥:

٤١٦، ويذكر أنه استمر قائماً= =في مكانه إلى أن تبدلت الدول واختلفت الأحوال فنقلت الآثار من الرباط خوفاً عليها من السراق، ويذكر أن قنصوى الغوري نقلها إلى قبة الغوري، وأضاف إليها المصحف العثماني ثم نقلت إلى مسجد الزيني ثم القلعة ثم ديوان الأوقاف ثم إلى قصر عابدين ثم إلى المسجد الحسيني ونقلها إليه الخديوي: محمد توفيق، للمزيد انظر أحمد تيمور: الآثار النبوية، ص٢٨: ٣٧.

(٢٩٧) درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩.

(٢٩٨) المقريزي: المقفى، ج٧، ص١١٣، ابن تغري: المنهل، ج٧، ص٥٣.

(٢٩٩) الصفدي: أعيان العصر، ج٥، ص١١٤، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٥٦، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٢٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٨، ص٢٨.

(٣٠٠) درة الأسلاك، ج٢، ص٢٩٩.

(٣٠١) الانتصار، ق١، ص١٠٦.

(٣٠٢) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٧١.

(٣٠٣) درب البقالين: هو الدرب المسلوك فيه من سوق وردان إلى القطانيين، وحمام الصاحب محي الدين، وإلى زقاق الخضابية، وإلى سوق أحساف، ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٢٧.

(٣٠٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٦٠.

(٣٠٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٦٠، ٣٦١، ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠٧.

(٣٠٦) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٦١.

(٣٠٧) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص٢٧، ١٠٥.

(٣٠٨) الانتصار، ق١، ص٥٥، ١١٩.

(٣٠٩) ابن دقماق: الانتصار، ق١، ص١٠٨.

(٣١٠) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٦٠.

(٣١١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٣٥٦: ٣٥٧.

(٣١٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٩: ٨٣.

(٣١٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٩٩.

(٣١٤) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٠١.

(٣١٥) للمزيد انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٩٩: ٣٠٢، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٧٨: ٧٩، أبو المحاسن: النجوم، ج٧، ص٢٩٣: ٣٠٣، ٣٠٤، المنهل الصافي، ج١، ص٢٠٨، ج١١، ص٣٩: ٤٠. حتى أن ابن شداد في سرده لأعمال البر المنسوبة إلى السلطان، يجعل الفضل فيها كلها إلى الصاحب بهاء الدين بن حِنا.

(٣١٦) الصفدي: الوافي، ج٢٦، ص٣٠١٥.

(٣١٧) سعد الله بن مروان بن خير الصدر الأديب سعد الدين الفارقي الموقع، كان بليغاً منشئاً، شاعراً محسناً سمع وحدث بمصر ودمشق، وبها توفى كهلاً سنة ٦٧١هـ، ودفن في سفح قيسون. الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص٤٧: ٤٨، المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٠٤.

(٣١٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص٦٧٧، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٦، ص٣٠١٦، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ج١، ص٢٤٦.

(٣١٩) الصفدي: الوافي، ج٢٦، ص٣٠١٦، ابن تغري بردي: المنهل، ج٨، ص١٥١.

(٣٢٠) الصفدي: الوافي، ج٤، ص١٣٢.

(٣٢١) سراج الدين عمر بن محمد الوراق المصري، أديب مصر، كان مكثراً حسن التصرف، وكانت وفاته سنة ٦٩٥هـ. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٥٣. وإليه تُنسب قصيدة في مدح الصاحب بهاء الدين ومنها:

لا تلمنا فأي باب سوى بابك تأوي إلى حماة الوفود.

للمزيد انظر ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٨، ص١٥١.

(٣٢٢) الصفدي: أعيان العصر، ج٥، ص١٢٢، الوافي، ج١، ص١٧٩: ١٨٠.

(٣٢٣) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ص٣٠١.

(٣٢٤) ابن الصاحب علم الدين: أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر، الشيخ المصري الفقير المجرد، كان يشتغل في صباه وحصل ودرس، وكان لديه فضيلة، وذكاء وحُسن تصور، وكان نادرة زمانه في المجون والهزل، إلا أنه تجرد في آخره وتفقر، وأطلق

طباعة على التجدي، وكان يجارد الرؤساء وغيرهم، وكان يعاشر الحرافيش، وله شعر في الحشيش، وآخر في الميل إلى اللهو والتصابي، عنه انظر ابن كثير: البداية، ج١٧، ص٦١٨: ٦٢٠، ابن تغري بردي: النجوم، ج٧، ص٣١٩: ٣٢١، المنهل الصافي، ج٢، ص٢٧٤: ٢٧٨.

(٣٢٥) الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٢٢٦، ورد اسمه عند العيني "النجم بن النجيب"، عقد الجمان، ج٢، ص٢٠٨.

(٣٢٦) ابن حبيب: درة الأسلاك، ج٢، ص٣٠١.

(٣٢٧) الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٢٢٦، العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٠٨، ويقصد بالبرهان هنا قاضي القضاة "برهان الدين السنجاري" الذي ولي الوزارة بعد الصاحب بهاء الدين بن حِنّا.